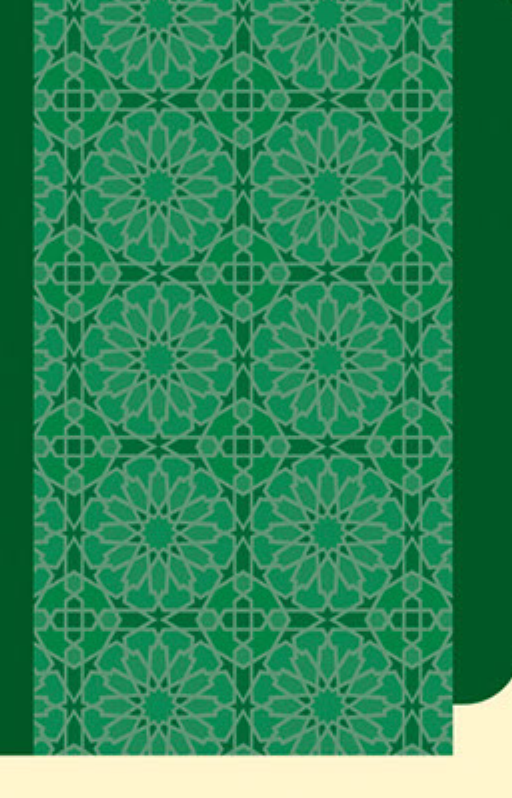
د / مصلح بن زويد العتيبي

٥٣ قاعدة

لحياة أفضل



ح مصلح زويد العتيبي ، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العتيبي ، مصلح زويد

٥٣ قاعدة لحياة أفضل. / مصلح زويد العتيبي - الجموم ، ١٤٣٧هـ

ردمك : ٣ -٢٣٤٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الثقة بالنفس ٢ - النجاح أ. العنوان

رقم الإيداع : ١٤٣٧/١٠٠٧٤

ردمك : ٣-٢٣٤٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

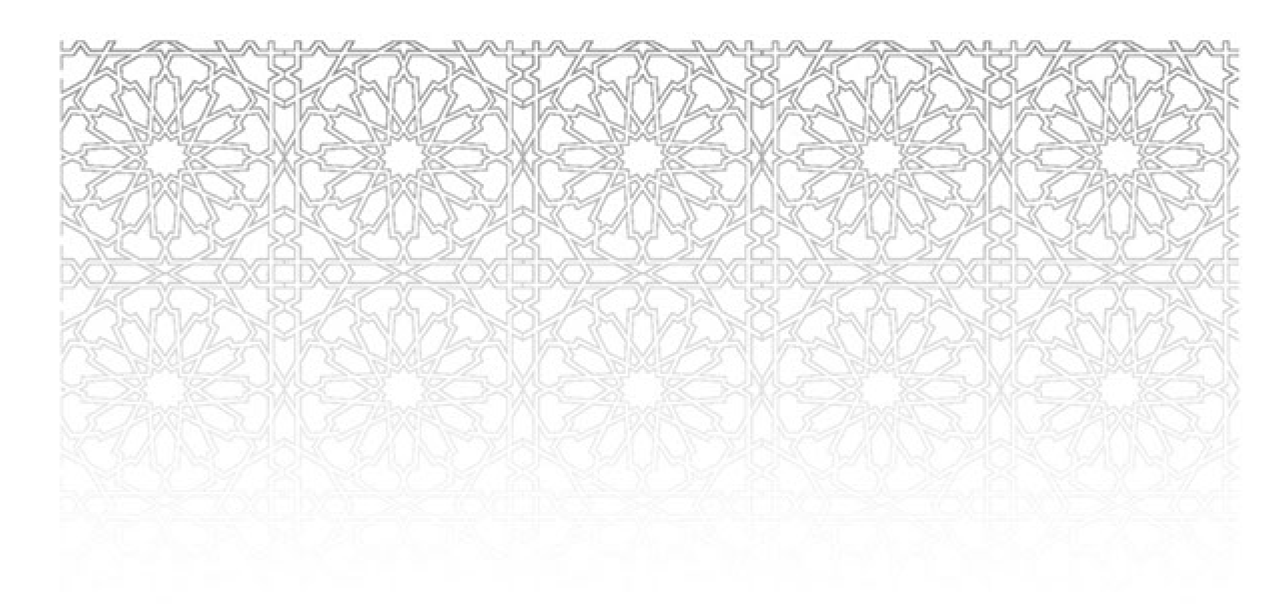
١٤٣٨هـ

حقوق الطبع لكل مسلم بعد التنسيق مع المؤلف

للتواصل مع المؤلف

واتس : ٠٥٠٥٥٢٨٧٠٤

بريد إلكتروني : alzarige@hotmail.com




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، خلقنا ليسعدنا لا ليشقينا، وجعل للسعادة طريقاً مستقيماً يوصل أوله إلى آخره؛ فلا يتيه سالكه ما دام عليه،ولا يضل من يُريده إذا دُلّ عليه.

والصلاة والسلام على من لا ينطق عن الهوى، ولا تبع سبيل هوى، ومن ترك سبيله هوى ، اللهم زدنا في سنته وطريقته حباً وهوى.

أما بعد،

فالحياة السعيدة ليست أمراً عبثياً يحصل لكل أحد، وليست طريقاً يسلكه من لا يعرفه، وإلا لما كان في الناس شقي، ولما كان فيهم متأسف على خطأ وقع فيه.

نحن جميعاً نعلم أن رأس أمر السعادة التقوى، لا شك في ذلك ولا ريب، والأمر كما قال الشافعي رحمه الله تعالى:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنَّ التَقِيَ هــو السَعيدُ

ومع هذا فإن بعض الناس يشقي نفسه، ولو كان تقياً، بسوء تصرفاته، وببعده عن الحكمة في حركاته وسكناته.

فيحزن نفسه ويحزن من يحب، ليس بحثاً منه عن الحزن ، ولكنها نتيجة حتمية لعدم معرفته واهتمامه بالطرق والقواعد المعينة على الحياة الأفضل .

وقد يسر الله لي ومنّ علي بوضع ثلاث وخمسين قاعدة لحياة أفضل، وهي مستقاة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تجارب الناس وحياتهم ومن التأمل الطويل في هذه الحياة.

وليست هذه القواعد وليدة الساعة ، ولا حصاد اليوم والليلة، وإنما هي ثمار الأربعين من العمر، وما كان فيها من تجارب وأحداث، وأفراح وأتراح.

فخذها بقوة، فليس يغني عنها غيرها، ولا تغني هي عن غيرها مما كُتب في هذا الشأن، ولكنها تنفعك ولا تضرك، وتزيدك ولا تنقصك.

ولا تغني قراءتها عن تطبيقها، فليس الهدف منها القراءة دون التطبيق، وإنما الهدف تطبيق ينطلق من قراءة واعية.

أرجو أن يكون التوفيق حليفي فيما كتبت، وأن يكتب الله له قبولاً، وأن يجعله نافعاً باقياً، ومن وجد فيه خطأ فليبادر ببيانه لي، فليس له عندي على ذلك جزاء إلا الدعاء والشكر.

ومهما رمتُ كماله فلن يخلو من خطأ وتقصير، فطبع البشر يغلب، ويبقى الكمال عزيزاً لم ينله من هو خير مني وأعلم، والله المستعان.

د / مصلح بن زويد العتيبي

تمهيد

تم تقسيم القواعد إلى أربع مجموعات؛كل مجموعة تضم مجموعة من القواعد، وهي كالتالي:

المجموعة الأولى: قواعد إيمانية ، وهي :

١- اهتم بحياة روحك.

٢- طهر قلبك من الحسد.

٣- اخدم أمتك.

٤- اصنع لك أثراً يبقى.

٥- لا تهتك لأحد ستراً.

٦- قد يرى بعض الناس سوء عمله حسناً.

٧- والله يعلم المفسد من المصلح.

٨- لتكن همتك في الدعاء عالية.

٩- تعلم من صلاتك.

١٠- احذر سبب دمار الدنيا والآخرة.

١١- أثر كلمتك الطيبة سيعود عليك.

١٢- تذكر عطايا الله لك وفضله عليك.

١٣- إياك ومبادرات الشر واحذر أصحابها.

المجموعة الثانية : قواعد شخصية، وهي:

١- خطَط ونظَم واستثمر وقتك.
٢- عش التوازن.
٣- ضيق الأفق طريق التعاسة.
٤- الثوب الطويل الواسع يحرج لابسه.
٥- قد تتخلف النتائج حتى لو بذلنا الأسباب.
٦- قد يكون إخفاقك مفتاح نجاحك.
٧- بادر فالنجاح مبادرة.
٨- ليكن لك جديد دائماً.
٩- لا تخدع نفسك.
١٠- لا تغلق باب خير ولا تفتح باب شر.
١١- لا تقف كثيراً أمام الأبواب المغلقة.
١٢- لا تضف وقوداً إلى النار المشتعلة.
١٣- بعض الأمور لا تحتاج إلى استشارة.

المجموعة الثالثة : قواعد في التعامل مع الآخرين، وهي:

١- لكل باب مفتاح.
٢- المعارك الخاسرة انتصاراتها كاذبة.
٣- هناك شخص أو مجموعة أشخاص إنما أنت حسنة من حسناتهم.
٤- أدِّ الشكر لمن كان له دور في نجاحك.
٥- من ليس معك ليس بالضرورة أن يكون ضدك.
٦- هناك من يستفيد مما تفعل من خير.

٧- استعمل «هو خير مني» ولا تستعمل «أنا خير منه».
٨- مهما رأيت من مسلم شراً فاعلم أن في قلبه خيراً كثيراً.
٩- لا تكن مطففاً ولا يحزنك المطففون.
١٠- كن أنت خيراً وبادر بالسلام.
١١- تعلّم من الأطفال.
١٢- لا يحيق المكر السيِّئ إلا بأهله.
١٣- احذر شماتة الأعداء.

المجموعة الرابعة: قواعد تربوية عامة، وهي:

١- استثمر في والديك.
٢- كن لأخيك كموسى لأخيه.
٣- كن معيناً لشريك حياتك، ولا تكن معيقاً له.
٤- ليكن لك مشروع واضح في أولادك.
٥- كثير من الأمنيات إنما هي أوهام للسعادة.
٦- عندما تتقاطع الأهداف فلا تقطع العلاقات.
٧- الكلمات أطول عمراً من أصحابها.
٨- ليس الواقع كما يظن الناس دائماً.
٩- اعرف متى تستخدم «لا» وخصوصاً مع أولادك.
١٠- الخوف يقتل طموحاتك ولا يمنع عنك الموت.
١١- التعبير عن النجاح والفشل غالباً غير دقيق، فلا تقلق من ذلك.
١٢- غيِّر رقماً واحداً تتغير النتائج.
١٣- ستقودك الأقدار إلى ما قدر لك.
١٤- اختم بخير.



المجموعة الأولى:

قواعد إيمانية

الموت هو مفارقة الروح للجسد.

والتعاسة هي موت الروح داخل الجسد.

والروح لا تموت إلا ببعدها عن سبب حياتها.

وسبب حياتها هو الإقبال على الله في كل وقت.

والروح تمرض كما يمرض الجسد.

وأمراض الأرواح مختلفة ومتعددة.

فمنها ما سببه العبد نفسه.

ومنها ما سببه ردة فعل على فعل غيرك.

ومنها ما سببه مخالطة من ماتت أرواحهم داخل أجسادهم.

والروح تُسقى كما يُسقى الزرع.

وتظهر آثار حياتها على صاحبها.

فالروح الحية تنشر الحياة في كل الوجود.

بل إن مجالسة الأرواح الحية دقائق معدودة تعيد الحياة إلى أرواحنا.

ورؤية الأرواح الحية واعظ نراه في كل حين .

والفرق بين مفارقة الروح للجسد وموتها داخل الجسد؛ أن روحك عندما تفارق جسدك لا تستطيع إعادتها إليه.

ولكنها عندما تموت داخل الجسد؛ فإن وسائل الإنعاش الروحي قادرة بعد توفيق الله على إعادة الحياة لها .

والروح عندما تهمل قد تموت داخل الجسد بعد حياتها وقوتها.

فكن على حذر من ذلك، فقبل أن تفعل أو تكون لك ردة فعل تأمل في أثر ذلك في روحك .

لن ينفعك أهلك ولا مالك ولا جاهك عند موت روحك داخل جسدك؛ لأنه لا أحد من هؤلاء يستطيع إحياء روحك.

قد تكون فقيراً ومريضاً ومتعباً وتعيش سعيداً مرتاح البال؛ لأن روحك حية داخل جسدك .

حياة الروح شيء آخر، وأمر مختلف، وواقع لا يستطيع أن يتصوره أصحاب الأرواح الميتة داخل أجسادهم .

لأن معانيه لا تدرك بالوصف فقط!

ختاماً :

قد سمعنا عن شاعر يعتزل، ولاعب يعتزل، فهل سمعنا عن داعية يعتزل .

وقد رأينا موظفاً يتقاعد وآخر يستقيل ؛ فهل رأينا عالماً يتقاعد من حلقة درسه أو يستقيل من تعليم طلابه؟!

اللهم إنَا نسألك حياة أرواحنا في أجسادنا، وسعادتها عندما تفارق أجسادنا .

هل تعلم أنك أنت الوحيد الذي تعلم إذا ما كنت حاسداً لغيرك؛لأن الحسد في القلب، ولا أحد يعلم ما في قلبك إلا الله.

صحيح قد تظهر علامات على حسدك، لكنها تظل مجرد قرائن فقط .

تحسد أخاك وشقيقك!

تحسد ابن عمك وقريبك!

تحسد زميلك وصديقك!

وهم مساكين يظنون أنك أكثر الناس فرحاً بنجاحهم وتفوقهم وسعادتهم!

هل سألت نفسك يوماً ما: لماذا أحسدهم وهم أصلاً ليس لهم من الأمر شيء وإنما الأمر والعطاء من الله وحده؟

هل دعوت الله أن يطهر قلبك من الحسد؟

هل دافعت الحسد عن قلبك بالدعاء لمن تحسده؟

ثم، هل سألت نفسك ماذا استفدت من الحسد؟ فعطاء الله لخلقه لن يوقفه حسدك.

وهل سألت نفسك هل كنت سبباً في ضرر مسلم بحسدي له؟

وهل سألت نفسك كم أثر الحسد في نفسيتك ومزاجك؟

وهل تحب أن يحسدك أحد على نعم الله عليك؟

هل تعلم أن الحسد سبب غضب الله؛ لأن فيه اعتراضاً على قدره ورزقه لعباده؟

وهل تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب غضباً شديداً حتى ضرب بيده في صدر صحابي كان سببا في ضرر صحابي آخر بعينه؟

وهل تعلم أن الحسد يجعلك تكره نفسك التي بين جنبيك وتكره أعز الناس إليك؟

ستقول أريد أن أكون مثلهم!

إذا أردت ذلك فاسأل الله من فضله وادعُ الله لهم كي يؤمِّن على دعائك ملك مكرم ويقول آمين ولَك بمثل!

تقول أقع في الحسد رغماً عني!

أقول لك: قل «اللهم بارك لهم ماشاء الله لا قوة إلا بالله».

ختاماً:

الحسد نار تحرق، لكنها لا تحرق غيرك حتى تحرق قلبك وحسناتك، فتعوذ بالله منه ليل نهار،أعاذنا الله وإياكم من الحسد ومن الحاسدين .

القاعدة الثالثة: اخـــدم أمتـك

هذا السؤال :

«كيف أخدم أمتي»؟

يؤرق الكثيرين، يطاردهم في كل مكان، ويهاجمهم في كل لحظة!

يجعل بعضهم يتخبطون، يسرعون ويستعجلون؛ هم يسعون للبناء ولا يرون أثراً لبنائهم!

النية سليمة، والجهد مبذول، والعطاء مستمر !

فلماذا لم يخدم أمته كما ينبغي ؟

تعال معي، أخي القارئ، لنقف على بناء حسي من الأبنية التي نعيش فيها!

هل يُتصور أن ترى الدور الثاني قائماً ولا وجود للدور الأول؟

لا يمكن ذلك أبداً !

هذا بالضبط ما يقع فيه كثير منا!

يتركون العمل الأساس وينتقلون إلى غيره.

تأكد أن أفضل شيء تخدم به أمتك وأعظم عمل تقدمه لرقيها وتقدمها أن تقوم بالعمل الذي لو لم تقم به لم يقم به غيرك .

وبمعنى آخر أن تقوم بالعمل المعني به أنت أولاً قبل غيرك .

فإذا أديت هذا العمل على الوجه المطلوب فانطلق إلى غيره من الأعمال .

أما أن يحصل العكس فهذا هو أساس الخلل الذي نشاهد بعض آثاره في حياة بعضنا وجهده .

وكي تتضح الصورة، تأمّل هذا الحديث، ثم تأمّل الأمثلة التي تليه :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الجهاد ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم .
قال: ففيهما فجاهد .

فرده النبي صلى الله عليه وسلم من العمل الذي يمكن أن يقوم به غيره إلى العمل الذي لن يقوم به غيره ؛ والى العمل المعني به هو أولاً .

رجل يريد البذل في سبيل الله ينفق في كل اتجاه، لكنه يجعل يده مغلولة إلى عنقه عند الإنفاق على أهله وولده .
فهذا أيضاً ترك العمل المعني به أساساً إلى عمل قد يقوم به غيره .

الإنفاق في سبيل الله من أفضل القربات، لكن لا ترفع الدور الثاني وأنت لم تبنِ الدور الأول .

إمام مسجد يسعى للدعوة إلى الله، لكنه لا يكاد يُرى في مسجده .
فهذا أيضاً ترك العمل المعني به أساساً إلى عمل قد يقوم به غيره .

معلم في فصله يغرد بالدعوة وتذكير الناس في مواقع التواصل الاجتماعي ، ولا يكاد يعطي طلابه من وقته إلا أقل القليل،فهذا أيضاً ترك العمل المعني به أساساً إلى عمل قد يقوم به غيره .

امرأة تقوم بالدعوة إلى الله في المجتمعات النسائية وفي دور التحفيظ ، لكن زوجها يشتكي عدم إعطائه أبسط حقوقه، وأولادها يجلسون مع الخادمة غالب وقتهم .

فهذه أيضاً تركت العمل المعنية به أساساً إلى عمل قد يقوم به غيرها .

طالب يقرأ في كل مجال؛ لكنه لا يكاد يُمسك كتاباً من كتب منهجه الدراسي.

فهذا أيضاً ترك العمل المعني به أساساً إلى عمل قد يقوم به غيره .

خاتمة:

من كيد الشيطان الخفي صرف العبد عن العمل المعني به أساساً إلى غيره من الأعمال .

فقف مع نفسك أخي الكريم، وأنتِ أختي الفاضلة، وتأكدا أنكما لن تخدمان أمتكما بمثل قيامكما بالعمل الذي لن يقوم به غيركما .

اسأل نفسك ما هو العمل المعني أنا به أساساً؟

قد يكون أكثر من عمل ؛ انطلق نحوها وابذل جهدك في إتقانها، وتذكر أن الله لا يقبل نافلة مالم تؤد فريضة .

اللهم وفقنا ومن نحب لما تحب برحمتك يا أرحم الراحمين .

مكث الإمام الحجة المفسر ابن جرير الطبري رحمه الله أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة .

ولو قلنا إن الأربعين ورقة تصلح أن تكون مؤلفاً صغير الحجم ، فهذا يعني أنه كان يخرج كل يوم مؤلفاً.

ولفت نظري في ترجمة أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري مايلي :

«من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة، في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة».

ولفت نظري في ترجمة جولدتسيهر، المستشرق المجري الجنسية اليهودي الديانة، ولد عام ١٨٥٠م، وهو من أعلام المستشرقين، مايلي :

«ومنذ هذه السنة ؛ سنة ١٨٦٦م وهو في كل سنة يخرج بحثاً أو طائفة من الأبحاث بين كتب ضخمة، قد يتجاوز حجم المجلد الواحد منها أربعمئة صفحة، وبين مقالات متوسطة الحجم بين العشرين والستين صفحة، وتعليقات صغيرة وبحوث نقدية تعريفاً بالكتب التي تظهر باستمرار، حتى بلغ مجموع أبحاثه كما بينها فهرست مؤلفاته ٥٩٢ بحثاً».

أي منذ أن كان عمره ستة عشر سنة وهو مشتغل بالتأليف .

ونحن إذا اشتغل أحد بالتأليف أو كثرت كتاباته قلنا أكثر فلان .

حتى إن بعض الكُتاب يقتصد في كتاباته من كثرة ما يلام على كثرتها .

قد تجود القريحة ويفتح الله لك باباً لم يفتحه لغيرك، ليس لفضلك بل بفضله هو سبحانه وتعالى .

أنت أعلم الناس بنفسك وأكثر الناس تحديداً لمستوى نفعك وما يوافق ميولك وتوجهاتك وما تستطيع عمله وإنجازه .

دع عنك كلام الناس، ودع عنك لمز من يلمز وهمز من يهمز ؛ فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ الهمزة: ١

غداً سترحل، فماذا قدمت ؟

ليست المشكلة فيمن ليس عنده شيء يقدمه؛ لكن المشكلة فيمن عنده ويقدر لكنه يتحجج بحجج ويتعذر بأعذار ويمني نفسه بأماني، فلا الموت يتركه ولا الوقت يسعفه .

قد انقضى نصف عمره وما عمره؟!

الآن وليس غداً، افتح صفحة جديدة، قدم ما عندك، استشر واستخر، وقدم وتقدم .

تأكد أن الأثر يبقى وإن ذهب صاحبه، والتعب يُنسى وإن تعب صاحبه .

عد بذاكرتك إلى الأسبوع الماضي فقط، هل بقي لتعب تعبته أثر عليك ؟ أو هل ما زال يؤرقك سهر سهرته؟

كله يذهب، ويبقى كتاب ألفته أو مقطع أخرجته أو شريط سجلته أو مقال كتبته.

والقلم تشتد قوته كلما كتب، والذاكرة يزداد حفظها كلما حفظت.

شخص بحجمك وبقدر معرفتك وعلمك ماذا قدم لأمته مما في جعبته؟ سؤال لا يملك الإجابة عليه إلا شخصك الكريم، ولَك منا الدعاء بالتوفيق والتسديد.

فضل عظيم وأجر كبير في الستر على الناس؛ قال صلى الله عليه وسلم: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» وقال صلى الله عليه وسلم: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

الستر على غير المجاهر وعلى من ليس ضرره متعدياً توفيق من الله للعبد .

حتى إن البعض يحمد الله يوم يرى موقفاً يحتاج من يكون فيه إلى الستر؛ بل إنه يعده خبيئة بينه وبين الله .

والبعض الآخر مفهوم الستر عنده محدود؛ يظن أنه لا يحتاج إلى الستر فهو ليس من أهل المعاصي وليس من أرباب الكبائر؛ بل يرى نفسه من أهل مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال؛ ولا يراه الناس إلا في المواقف التي يُحمد أهلها عليها.

والستر مفهومه أوسع من هذا بكثير؛ فأهمه وأعظمه الستر في يوم القيامة يوم يُحصَل ما في الصدور؛ يوم قال الله عنه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩.

والستر في الدنيا ليس خاصاً بالمذنبين، بل إنك تحتاج إلى الستر في كل شيء في نفسك وأهلك وولدك ومالك؛ وتحتاج إليه أيضاً في كل وقت من الأوقات.

تحتاج إلى أن يسترك الله، فلا تظهر لك حاجة ولا يطّلع الناس منك على فاقة؛ بل إن الله يستر عبده حتى يجنبه أصلاً

المواقف التي لا يستطيع مقاومتها أو التي ستسبب له حرجاً .

إذا علمت هذا فاحرص ، يا رعاك الله، على أن لا تهتك لأحد ستراً ؛ عالج وساهم في الحل إن استطعت؛لكن إياك وهتك الأستار.

وجدتَ فلاناً مع زوجه في المحكمة وبينهما قضية، هذا ستر فإياك أن تهتكه .

دخلت محلاً تجارياً وإذ بصاحب المحل ممسك بجارك يقول متى تسدد حقي عليك؟هذا ستر فإياك أن تهتكه.

وجدت في جوال ولدك مقطعاً غير لائق ، هذا ستر فإياك أن تهتكه.

قال لك : طلقت زوجتي لأنها فعلت وفعلت، هذا ستر فإياك أن تهتكه.

شكا إليك حاجة أو اعترف لك بخطيئة، هذا ستر فإياك أن تهتكه.

الخاتمة:

ضع نفسك مكان الشخص الآخر، فإذا كنت لا تُحب أن يُحدث بما رأى منك فلا تحدث بما ترى منه، وقل لنفسك: «هذا ستر فلن أهتكه».

اللهم أدم علينا وعلى المسلمين سترك، واسترنا وإياهم فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

القاعدة السادسة : قد يرى بعض الناس سوء عمله حسناً

الحمد لله القائل : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ فاطر : ٨ .

هذه الآية دليل صريح على توهم بعض الناس حسن العمل وهو يسيئه.

قال العلماء في المراد بالآية اليهود والنصارى والمجوس ، وقيل الخوارج، وقيل الشيطان، وقيل كفار قريش.

وللفائدة، انظر مع من يذكر الخوارج؟ نسأل الله السلامة والعافية.

وليس المقصود تحديد من المقصود؟ لكن الأمر مخيف جداً .

الثقة بالنفس،في أقوالك، في اختياراتك، قد تسوق إلى هذه التهلكة .

وفي الحديث عن آخر الزمان:« واعجاب كل ذي رأي برأيه ».

عندما نفكر في المواقف نعرض أقوال الآخرين ونزنها ونناقشها؛ أما أقوالنا فكثير منا لا يتسلل إليهم أدنى شك في صحتها وصوابها .

قال الشافعي رحمه الله، أو غيره:« قولنا صواب يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب ».

هذا في المسائل العلمية، التي لا يقول فيها إمام بحجم الشافعي، رابع أربعة، إلا وفق نظر واجتهاد وتتبع أدلة واستقصاء وبحث! فكيف باختياراتنا في أمورنا الحياتية اليومية .

«اللهم اهدني وسددني؛ اللهم إنا نسألك الهدى والسداد».

دعاء من الهدي النبوي يُبين لك إمكان الزيغ والانحراف عن سبيل النجاة، لذلك كان الحث على هذا الدعاء.

والكبر رد الحق وغمط الناس، أي احتقارهم. وهذا الخلق الكريه، الذي لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه، هو امتداد لسيطرة تزيين الرأي والعمل الشخصي في نفس صاحبه، الذي قد يكون من سوء العمل وصاحبه لا يشعر.

هذه ليست دعوة للشك في كل تصرفاتنا، ولكنها دعوة للدعاء بطلب الهدى والسداد، وطلب الاستشارة وفعل الاستخارة، وعرض تصرفاتنا واختياراتنا على ميزان الحق في كل حين.

كلنا نعلم عدم عصمتنا، وقليل منا من يفكر في إمكان أن يكون على خطأ في موقف ما.

الأزواج والأصدقاء والزملاء والأقارب، كل هذه العلاقات تذهب ضحية موقف أحياناً يرى كل من الطرفين أنه فيه على حق وغيره على باطل.

وبعض الناس يعيشون حياتهم - والعياذ بالله - في وهم الصواب الدائم، فما أعظم حسرة من يُزين له «سوء عمله فيراه حسناً» والعياذ بالله.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

ليس للناس إلا ظاهر العمل وظاهر الإنسان، وأما البواطن فلا يعلمها إلا الله،

فكم من لابس ثوب إصلاح وهو من أشد المفسدين .

يعمل أعمالا ظاهرها الصلاح، ويثق الناس به لما يرون عليه من مظاهر السنة، وهو الشقي المفسد .

في إصلاح ذات البين تراه يسعى مع من يريد الإصلاح، وله نيات فاسدة، والله لو سلم الناس منه لاصطلحوا .

وفي الدعوة إلى الله والمشاريع الخيرية والدعوية كل همه أن يؤخذ بقوله، هذا غاية ما يريد .

مسكين يُخشى عليه أن يكون سلفه من قال الله تعالى فيهم :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة: ١١ – ١٣

لا أدري كيف تحمله قدماه؟ وكيف يقر له قرار؟ وكيف تسكن نفسه؟ وكيف يعمل أعمال الإفساد وهو لابس ثوب الإصلاح؟

وهو يقرأ هذه الآية:﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ البقرة: ٢٢.

هذه الآية هتكت أسرار المفسدين.

هناك مفسد يُفسد وهو يعلم أنه مفسد.

وهناك مفسد يُفسد ويحاول أن يستر نفسه.

والطامة الكبرى من يُفسد وهو يعلم أنه مُفسد، ومع هذا يدعي الإصلاح.

هذه القاعدة أخاطب بها روحك؛ وأخاطب بها جذور الإيمان في قلبك.

هذه القاعدة أرجو أن تسقي شجرة الإيمان في نفسك، وتجتث ما لا يحبه الله من أعمال.

الله أحق أن يستحيي منه!

ماذا تسر؟

ماذا تريد؟

كيف تتصرف؟

أما تخشى؟

قد لا يستطيع الشيطان أن يجعلك على هذه الصورة في كل المواقف.

لكن كم هو مؤلم أن تقف ولو في موقف واحد ينظر لك الجميع نظر الساعي إلى الخير الداعي إلى الفضيلة.

والله يعلم أنك ما أردت الإصلاح، وإنما كل سعيك للإفساد.

يوم تبرر ظلم ظالم فأنت شريك له في الظلم.

يوم تصرف بصرك عن أخطاء من تحب وتستخدم المجهر لتلتقط أخطاء غيرهم.

فما حالك والإصلاح؟

الأمثلة كثيرة، والمواقف عديدة، والمعصوم مَنْ عصمه الله.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وأعيننا من الخيانة، وألستنا من الكذب.

الهمة العالية في الدعاء لها وقع كبير على صاحبها، وتأثير عظيم في حياته.

فكيف تكون الهمة العالية في الدعاء؟

الهمة العالية في الدعاء يمكن أن يُنظر إليها من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول :

بماذا تدعو؟

فليس معنى الهمة العالية في الدعاء أن تدعو بالأمور العظيمة والكبيرة فقط .

بعض الناس يفهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس» أن الدعاء ينبغي أن يكون في الأمور العظيمة فقط .

وهذا مخالف لفهم الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا يسألون الله حتى ملح الطعام، وشسع النعل!

ولكنه يعني ألاَ يتعاظم في نفسك شيء تريده وتظن أنك لا يمكن أن تحصل عليه لقصور عملك أو قصور إمكاناتك .

فليست الأمور على ما نتصورها بحسب ما يحيط بها من صعوبات وعقبات، وإنما الأمر لله وحده، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون؛ فالله على كل شيء قدير.

فالفردوس هو أعلى الجنة ووسطها؛ ولذلك قد يظن البعض أنه لا يبلغه، فيعرض عن سؤاله، فوجّههم النبي صلى الله عليه وسلم إلى سؤاله وطلبه، ولعل هذه إحدى الحكم المستفادة من هذا الحديث.

وإذا كان حصول النتائج متعلقاً بطلب الأسباب فإن الدعاء من أعظم الأسباب.

ومما لا يتوافق مع الهمة العالية في الدعاء الاقتصار في الدعاء على طلب الدنيا والإعراض عن الآخرة؛ قال تعالى:

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

وأما أهل الهمة العالية فبيّن الله حالهم بقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

فالهمة العالية في الجانب الأول تعني أن تسأل الله ما تريد من خيري الدنيا والآخرة موقناً بالإجابة.

والجانب الثاني :

لمن تدعو؟

بعض الناس لا يدعو إلا لنفسه فقط، فهو نادراً ما يذكر حتى أقرب الناس إليه من والد وولد وزوج وأخ .

وهو من باب أولى لن يذكر غيرهم من المسلمين ؛ وهذا مخالف لمنهج الرسل والصالحين في الدعاء الذي قصه الله علينا في كتابه .

فعلى سبيل المثال :

نوح عليه السلام دعا بقوله: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

نوح: ٢٨.

وابراهيم عليه السلام دعا بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾

البقرة: ١٢٦.

حتى حملة العرش من الملائكة ومن حوله تأمل في دعائهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ غافر: ٧.

والأمثلة كثيرة، وإنما أردت فقط لفت الانتباه إليها .

فلا يكن أحدنا بخيلاً في الدعاء، فلا يفكر إلا في نفسه، بل ليكن ممن يصل خيره بالدعاء إلى أمته وقرابته وإخوانه، بل يذكر الأحياء والأموات .

الجانب الثالث :

حتى متى تدعو؟

العبد المؤمن يُلح في الدعاء ويستمر عليه، فالله يحب الملحين في الدعاء .

والدعاء كأي عمل آخر وكأي حقل من حقول النجاح إنما يفوز فيه من يستمر عليه فلا يمل .

ولما قال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: إذاً نكثر! قال ﷺ : الله أكثر!

فلا تترك الدعاء؛ «تقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي»، فإن الله لا يمل حتى تملوا .

الصلاة لها مكانة عظيمة في دين الإسلام، وحق للمسلم أن يتأملها ليستنبط منها الفوائد والحكم والنفائس والفرائد، وأن يقيمها كما أقامها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، ويتعلم ما يتعلق بها من الشروط والأحكام والسنن، وما يتعلق بها من طهارة وغيرها.

وفوائد الصلاة لنا في حياتنا لا تُحصى عدداً ولا يُحاط بها علماً.

ومن أهم فوائد الصلاة أنها علمتنا أهمية الوقت، فلها وقت محدد لا تصح قبله ولا بعده إلا بعذر .

وعلمتنا الصلاة أهمية تقسيم الأعمال وتنويعها، فالصلوات خمس ، وهي مختلفة في عددها وفي سرها وجهرها .

وعلمتنا الصلاة أهمية العلم، فمن لم يعلم لن يستطيع أن يعمل عملاً صحيحاً .

وعلمتنا الصلاة أهمية المبادرة وخطر التقاعس والتراخي والتأخر .

وعلمتنا الصلاة أنه لا يكفي للفعل مجرد الأداء، بل لا بد من العناية بصفة الفعل ووقته .

وعلمتنا الصلاة أهمية أن الأمة لا تصلح حياتها إلا بإمام واحد، وأنه لا بد من طاعة هذا الإمام، فَلَو صلَت الجماعة بدون إمام أو بأكثر من إمام فإنها لن تُقيم صلاتها كما ينبغي .

وعلمتنا الصلاة أن نتفقد بَعضُنَا في كل حين .

وعلمتنا الصلاة أن قوتنا في اجتماعنا، فإن منظر الصفوف المتتابعة خلف الإمام يُدخل الهيبة في القلوب .

وعلمتنا الصلاة أننا كلما تلاحمنا وتقاربنا عجز الشيطان وأعوانه عن الدخول بيننا .

وعلمتنا الصلاة أن النفس تحتاج إلى مجاهدة، وأن أكثر الناس مجاهدة لنفسه أكثرهم نجاحاً، وأن أهل الفجر هم أهل النصر.

وعلمتنا الصلاة فضل القرآن والسنة، فلا يتقدم إماماً إلا من كان أعلمنا بالقرآن ثم أعلمنا بالسنة .

وعلمتنا الصلاة أهمية السبق إلى الصالحات، فجعلت مما يعتبر في تقديم الإمام سبقه بالهجرة .

وعلمتنا الصلاة احترام كبار السن، فجعلت مما يعتبر في تقديم الإمام كبر السن .

وعلمتنا الصلاة التنافس في الخيرات بالمسابقة إلى الصف الأول ، والحرص على الفوز بفضل الأذان .

وعلمتنا الصلاة أن الناس يحتاجون إلى التهيئة قبل الأعمال العظيمة، فلا يكبر الإمام تكبيرة الإحرام إلا بعد أذان ينتظر بعده، ثم إقامة يُقيم بعدها الصفوف، ثم يكبر تكبيرة الإحرام.

وعلمتنا الصلاة النظافة الحسية والمعنوية وضرورة الاهتمام الدائم بها .

وعلمتنا الصلاة أن العذر يسع المسلم عندما لا يكون قادرًا على أمر معين.

وعلمتنا الصلاة أدب التيامن .

وعلمتنا الصلاة وعلمتنا وعلمتنا ...

هذه بعض الدروس النظرية من مدرسة الصلاة وغيرها، دروس روحية جعلنا الله وإياكم ممن فاز بها وتعلمها أيضاً .

الآيات والأحاديث في بيان عظيم جرم الظالم وبيان مآله كثيرة معلومة .

وإنما أحببت التذكير ببعض أخطار الظلم وعلاقته بخراب دنيا العبد وآخرته.

فالظلم يسلب العبد حلاوة الطاعة، ثم يسلب منه الطاعة نفسها، ثم يُبتلى بالذنوب.

وبالظلم يخسر العبد راحته النفسية، وسعادته الأسرية .

وبالظلم يخسر العبد ماله وولده .

بالظلم يحال بين العبد وبين التوفيق والنجاح.

والظلم قبيح وخطر، سواء أكان المظلوم إنسانا أم حيواناً .

تأمل ظلم هرة أدخل امرأة النار: «حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

فكيف حال من يظلم مسلماً ؟

فكيف لو كان هذا المسلم قريباً ؟

من يعلم عاقبة الظلم وأثره في دنيا الإنسان وآخرته يفر منه أشد من فراره من الأسد؛ وود لو أنه كان مظلوماً ولم يكن ظالماً .

ومن يعلم عاقبة الظلم يشفق على الظالم أكثر من شفقته على المظلوم؛ لأن المظلوم في الحقيقة منصور مأجور، والظالم مخذول مأزور .

زوج يظلم زوجة، ومدير يظلم موظفاً، ومعلم يظلم طالباً، وتاجر يظلم عاملاً هذه بعض صور الظلم في حياتنا اليومية، من سلم

منها فهنيئاً له .

الظلم درجات، ومع هذا فأقل درجة من درجات الظلم خطرة ومتوعد صاحبها بالعقاب .

كيف يقر للظالم قرار وتطمئن له نفس وينعم بعيش وهو يعلم جواب رب العباد لدعوة المظلوم: «وعزتي وجلالي لأنصرنَك ولو بعد حين» .

كيف يثبت قلبه في صدره وهو يقرأ هذا الجواب؟

فوا أسفا على موقف خرج العبد منه ظالماً .

ويا أسفا على ظلم علمه العبد ولم يتحلل من صاحبه .

ويا أسفا على ظلم وقع العبد فيه ولم يشعر به ولم يحلله من ظلمه .

كم نحن في حاجة إلى مراجعة وتصحيح لما هو مُقبل من أيامنا، بالابتعاد عن أقل القليل من الظلم .

وكم نحن في حاجة إلى تحلل ممن ظلمناه ممن نعلم!

وكم نحن في حاجة إلى استغفار يصحبه غيث من دموع دائمة، على ظلم وقعنا فيه ولم نشعر به .

توقف عن الظلم إن كنت تعلمه، وادعُ الله أن يبعدك عن الظلم قليله وكثيره، صغيره وكبيره.

فالظلم باختصار هو أن يكتب العبد نهاية حياته بيده، وأن يكتب تفصيلاً مأساويا لمستقبل أيامه في الدنيا والآخرة.

ويتوب الله على من تاب.

لم تزل الكلمات الطيبات المباركات تعود على أهلها بالخير والنفع، قبل أن تعود على غيرهم، وقبل أن تؤثر في سواهم.

ولعلنا في هذه القاعدة نقف على بعض الأمثلة لذلك .

كانت بلقيس ملكة كافرة، لها عرش عظيم، وتسجد وقومها للشمس من دون الله ؛ لكنها مع هذا الكفر كانت صاحبة أدب ومنطق حسن .

هذا الأدب يظهر جلياً في وصفها الكتاب الذي أُلقي إليها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ النمل: ٢٩ - ٣٠.. فوصفت هذا الكتاب بأنه كريم . فانظر بماذا عاد عليها هذا الأدب وحسن اختيار الألفاظ، والعلم عند الله: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ النمل: ٤٤.

وتعال معي إلى مثال آخر،إلى موقف يعجز عنه أشد الرجال؛ وقفته آسيا امرأة فرعون في وجه زوجها الطاغية، الذي أضناه البحث عن موسى، حتى إذا وقع بين يديه صرخت قائلة لفرعون وملئه: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القصص: ٩ ؛ فسلم الرسول بإذن الله وتم أمر الرسالة وفق حكمة الله .

وكان جزاء هذا المرأة أن ضربها الله مثلاً للذين آمنوا: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ التحريم : ١١

ثم انظر بماذا تعود عليك كلمة تقولها في الذب عن عرض أخيك المسلم؛ ففي الحديث: «**من ذب عن عرض أخيه ذب الله النار عن وجهه يوم القيامة**».

وكذلك الكلمة السيئة تعود على أهلها بالسوء والشر قبل أن تعود على غيرهم وتؤثر في سواهم .

ففي الحديث الصحيح: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة - من سَخَط الله - لا يُلقِي لها بالاً، يهوي بها في جهنم**».

انظر ماذا قالت اليهود - عليهم من الله ما يستحقون - وتعالى الله عما يقولون: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ المائدة: ٦٤.

وانظر ماذا قال الله لهم: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ المائدة: ٦٤

وقال بعض المنافقين في غزوة تبوك: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ التوبة: ٤٩.

فماذا كانت النتيجة: ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ التوبة: ٤٩.

فالحروف هي الحروف، تستخدمها نفسها عند الكلام،ولكن شتان بين من ألف بين حروفه وجمع بين كلماته وأخرج للكون كلمة طيبة نافعة وطيباً مطيباً يعود أثرها عليه قبل أن يعود على غيره، وبين من ربط بين حروفه وكلماته برباط سوء فكانت كلماته شراً مستطيراً وريحاً عقيماً يذوق شرها وتلفحه سمومها قبل أن تنال غيره .

اللهم وفقنا للطيب من القول، واصرفنا واصرف عنا سيء الأقوال والأعمال والنيات .

أحياناً من كثرة ما يمن الله به على العبد ينسى العبد ذلك العطاء لانشغاله وبحثه وطلبه لعطاء جديد .

أشياء تتحقق في حياتنا، كم دعونا الله بها،وكم ألح العبد على ربه في الدعاء، فلما تحققت نسي هذا الدعاء .

هل تخيلت وتأملت عظمة ورهبة أن يعطيك الله سؤلك!

تذكر تلك اللحظات، قد تكون لحظات سجود أو رفع يدين بين الأذان والإقامة أو دموع سحر؛ وما أدراك ما دموع السحر؟!

أو لوم للنفس على تفريطها فأسبلت دمعة في الخفاء وفي القلب منها ألم، فجاء الغوث من الله .

عندما يعطيك ملك من ملوك الدنيا عطاء تفرح بعملية العطاء نفسها أكثر من فرحك بالعطية؛ولله المثل الأعلى سبحانه .

يُسخر الكون كله وملائكته المسبحة بقدسه لإجابة دعوتك بأمره سبحانه .

في الأمر الإلهي والعطاء الرباني يُذكر اسمك .

هل رأيتم كيف أن الأمر عظيم والمكرمة جليلة؟!

ثم بعد ذلك ننسى كل ما صاحب هذا العطاء من مكارم وفضائل، ثم يشغلنا طلب المزيد عن شكر ما نَنعم به .

نعم اطلبوا المزيد، فالله هو الوهاب الكريم، لكن لا ننسَ الشكر على ما سبق من إحسان .

هذا نوع من عطائه وإحسانه، وما يعطيه ابتداءً من غير سؤال أكثر من أن نحيط به علماً، فضلاً عن أن نحصيه.

يا جاهلا صرت تعلم؛ هل غابت عنك حالك بالأمس وحالك اليوم؟!

يا ضالاً غرق في الشهوات وتاه في ظلام الشبهات؛ أبعد النجاة والإبصار نسيت تلك الدعوات المنجيات ودموعك في مواسم الخيرات!

كم كدّرنا أمر وأشغلتنا حاجة ففزعنا إلى الناس فما أسعفونا ولا قدروا أن يعينونا؛فلما أنزلنا حوائجنا بك وحدك وقطعنا الرجاء من غيرك جاء الخير العميم والرزق الوفير والنجاح والتوفيق ؛ثم نسينا ذلك كله يا ربي وأشغلنا طلب المزيد وطمعنا في فضلك يا كريم .فاللهم لك الحمد على العطاء، فكل عطاء من عطائك وكل جود من جودك ! اللهم اغفر لنا ما نسينا من شكر وثناء!

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! وما شكرناك حق شكرك!

اعلم يقيناً، أخي الكريم، أن كل عطاء من الله وحده، وتأمل بقلبك هذا الذكر الذي أمرنا بقوله دبر كل صلاة : «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».تأملوها كثيراً... تأملوها جيداً.

وتأملوا أيضاً قوله تعالى:﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾سبأ: ١٣

فكن يا أخي، وكوني يا أختي، من هذا القليل الشاكر.

كما أن للخير مبادرات؛فإن للشر مبادرات، وكما أن لمبادرات الخير من يسعى إليها ويحرص عليها؛ فإن لمبادرات الشر من يحرص عليها ويسعى إليها.

ومن أكبر قصص مبادرات الشر وأعظمها أذى مبادرات أبي لهب.

وقصته من أعظم القصص في بيان الخذلان، فهو عَم النبي ﷺ وجاره، فقد كان بيته ملاصقاً لبيت النبي ﷺ، وكان قد زوج ولديه عتبة وعتيبة بابنتي رسول الله ﷺ؛ رقية وأم كلثوم، قبل البعثة،فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما .

وكانت عاقبة أبي لهب، والعياذ بالله خزي في الدنيا والآخرة وقرآن يتلى ليل نهار ببيان مآله ومآل زوجه .

فلم ينفعه شرف القرابة من رسول الله ﷺ .

ولم يستفد من جوار خير جار ﷺ .

فكان أبو لهب شخصاً مبادراً، لكن كانت كل مبادراته وللأسف في سبيل الشيطان ، وفي فعل الشر وفي الصد عن سبيل الله.

بادر فقال للنبي ﷺ، وقد جمع قريشاً عند الصفا: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟!

وبادر يبشر بموت عبدالله ابن النبي ﷺ ويصف النبي بالأبتر .

وبادر يسعى خلف النبي ﷺ في الحج، كلما دعا قوماً خلفه عليهم يكذِّبه .

وبادر بأمر ولديه بتطليق ابنتي الرسول ﷺ.

وبادر وترأس القوم الذين يريدون قتل النبي ﷺ .

وبادر وبادر ....

فما أعظم حسرته يوم القيامة!

وفي ذلك عبرة وعظة، فليست كل المبادرات محمودة، وليست كل الأفعال والأعمال نافعة مشكورة .

فلا يبادر الرجل إلى غير الخير مهما قل ذلك الأمر وصغر، فلعله يبادر إلى شر فَيُحرم الخير كله .

فلا يكن العاقل رأساً في الشر أبداً، فمآل رؤوس الشر أن تُحصد وتهان .

ومآلها في الآخرة العذاب والنكال .

ولا يعتمد العاقل على نسبه، (فمن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه) .

ولا يعتمد الإنسان على قربه في المسكن من الصالحين إن لم يكن مثلهم !

فما قدر المساكن إن ضل الساكن ؟

وما مكانة المنازل إن سفل النازل ؟



المجموعة الثانية :

قواعد شخصية

الوقت الذي يملكه الناس كلهم هو نفسه، لكن الفرق بينهم في كيفية توزيع هذا الوقت واستثماره .

واستثمار الوقت يعتمد على التنظيم ، والتنظيم لا يتم إلا بالتخطيط .

«فخطِّط ونظِّم واستثمر وقتك لتكون مميزاً».

ودعونا نجرب هذا اليوم عمل خطة ليومنا، ننظم فيها أوقاتنا كي نستثمرها خير استثمار .

أخرج ورقة وقلماً، أو اكتب في الملاحظات بجوالك .

خطة يوم ... الموافق...

وسجل أهم اهتماماتك أو أهم الأمور التي تصرف فيها وقتك .

وكن مراعيا لقاعدة «بريتو» (٨٠/٢٠)، وهذه القاعدة تنص على أن عشرين في المئة من جهودنا تحقق ثمانين في المئة من إنجازاتنا .

يعني أنت تصرف عشرين في المئة فقط في جانب معين، هذا الجانب يحقق لك ثمانين في المئة من إنجازاتك .

وهي نسبة تقريبية، واكتشفها عندما لاحظ أن عشرين في المئة من الشعب يمتلكون ثمانين في المئة من الثروة، وأن عشرين في المئة من الموظفين يؤدون ثمانين في المئة من أعمال المؤسسة .

والفائدة من هذه القاعدة أن تعرف أن الثمانين في المئة من إنجازاتك في ماذا؟ ثم تركز على زيادة جهدك بزيادة العشرين في المئة التي تبذلها .

فإذا كنت مثلاً طالب علم في الحديث، فأنت تصرف عشرين في المئة من وقتك في دراسة علم الحديث، وإنجازك أو إنتاجك ثمانين في المئة منه يكون في جانب علم الحديث .

وإن كنت مستشارا أسرياً مثلاً، فأنت تصرف فقط عشرين في المئة من وقتك في زيادة ثقافتك الأسرية؛وهي تحقق ثمانين في المئة من إنجازاتك أو نفعك للناس في هذا الجانب .

حتى لو كنت تاجراً فعشرين في المئة فقط من أنشطتك التجارية تحقق ثمانين في المئة من أرباحك .

نعود إلى خطتك اليومية، والأفضل أن تكون الخطة أسبوعية بعدد ساعات معينة،كي لا تخفق في تنفيذها، فإن الخطط اليومية قد تفوت أحياناً مع زحمة المشاغل؛ فإذا كانت أسبوعية استطعت أن تعوض ما فات في يوم معين في غيره من الأيام .

ومهم جداً ألاّ تقف الخطة عند كونها ممكنة التنفيذ فقط؛ بل يجب أن يكون الاستمرار عليها سهلاً كي لا تقطعها .

فمهما كان ما تفعله قليلاً فإنه سيكون له أثر كبير مع الاستمرار.

وكم من خطط قوية وضعها الإنسان لكنه لم يستمر عليها، ومع مرور الأعوام ونظره إلى ما فات قال ليتني كنت عملت برنامجاً مختصراً سهل التنفيذ فأكون أنجزت إنجازاً عظيماً .

ومن أمثلة ذلك حفظ القرآن؛فكم وضع الإنسان لنفسه برنامجاً بحفظ وجهين أو ثلاثة، وتمضي الأيام ولم يحقق شيئاً، ولو أنه حفظ كل يوم آية واحدة فقط لأتم حفظ القرآن مع مرور الوقت.

ومن المهم أن تركز على الأشياء التي تحبها والتي يمكن أن تنجز فيها ولا تقلد أحداً في ذلك.

فمن لم تخلق فيه مواصفات العالم لن يكون عالماً ولو اعتكف في مكتبته .

وفي العلم تخصصات كثيرة، فتوجه إلى ما ترتاح إليه نفسك وتحب القراءة فيه .

ومن المهم جداً أن تحترم الجدول الذي تضعه لنفسك، وتجعل من يعيش معك يحترمه أيضاً .

ولا مانع من أن تستفيد ممن تتوقع منه الفائدة في رسم خطتك.

نعود إلى قاعدة «بريتو»؛ عشرون في المئة من اليوم تعادل خمس ساعات إلا ثلثاً، تقريباً.

قل أربع ساعات فقط .

ضع جدولك، بحيث تستثمر أربع ساعات يومياً استثماراً حقيقاً في المجال الذي ترى أن لك فيه إنجازات أو اهتماماً أو شغفاً وحباً.

وستكون استثمرت في الأسبوع الواحد (٢٨) ساعة .

أتوقع أنه ليس وقتاً قليلاً؛ والدليل أنك لو استثمرت نصفه أسبوعياً وهو (١٤)ساعة فقط استثماراً حقيقاً فسيكون لك شأن مهم في حياة الأمة إن شاء الله.

فمن استطاع أن يستثمر أربع ساعات فهذا شيء رائع جداً، ومن لم يستطع فليس أقل من ساعتين .

سيقول البعض: ساعتان يمكن أن يستثمرهما أي شخص، وأنا أقول: هي الحد الأدنى، والعبرة ليس في تنفيذها فقط، بل بالاستمرار عليها؛ تخيلوا شخصاً يستغل هاتين الساعتين يومياً،

مدة عشر سنوات، كيف سيكون؟!

ولو وجدت من لهم مثل اهتماماتك وسرتم على جدول موحد فلاشك أن ذلك معين على الاستمرار، بشرط أن تكون الجدية هي الغالبة عليكم .

إن المتأمل في مشكلاتنا الشخصية والأسرية والوظيفية والحياتية في شكل عام يجد أن هناك سبباً واحداً حاضراً دائماً مشتركاً في هذه المشكلات جميعاً، هو فقدان التوازن في تعاملاتنا، والابتعاد عن ممارسة الحياة وأخذ الأمور بوسطية «فلا ضرر ولا ضرار»، متمشياً مع الأصل الأصيل في ذلك «فأعط كل ذي حق حقه».

لكن كيف نبتعد نحن عن التوازن والوسطية في حياتنا؟
إذا كان التعبد والتقرب إلى الله، وهو غاية الله من خلق العباد، لام النبي صلى الله عليه وسلم من غلا فيه وتجاوز الحد، ثم قال: «أمّا أنا فأصلي وأرقد، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء».
فكيف بغير التعبد من الأمور ؟! للأسف الشديد كثير منا لا يحسنون إدارة حياتهم بتوازن، ولعلنا نشترك جميعا في هذا الأمر.
وهذه دعوة لإعادة ترتيب أوراق حياتنا، فطالما بقي في العمر متسع فمن الأفضل أن نعيشه بتوازن، وحتى ولو بلغت من العمر عتياً فعش التوازن والوسطية فيما بقي تشعر بطعم الحياة الحقيقي .
أنت في الحياة في دائرة، وأنت تقف في وسط هذه الدائرة، ووقوفك في وسط الدائرة هو المكان الصحيح المناسب لك لتعيش حياتك بتوازن، لكن عندما تتقدم في أي اتجاه من الدائرة فأنت تبتعد عن الاتجاه الآخر؛ فكل زيادة في جانب تعني قصوراً في جانب آخر .

صحيح أن الجوانب ليست في المستوى نفسه من الأهمية؛ فالأهمية متدرجة من مهم جداً إلى مهم إلى عادي إلى غير مهم إطلاقاً .

لكن المشكلة ليست هنا، المشكلة في أننا نفتقد التوازن في الأشياء المتساوية في الأهمية أو المتساوية في الدرجة مطلقاً .

كل شخص أو جهة له علاقة بنا في حياتنا هو جزء من حياتنا، وتختلف هذه الأجزاء في الأهمية والدرجة .

هذا الجزء يجب أن يبقى جزءاً كي تعيش بتوازن وتمارس حياتك بوسطية، عندما يأخذ هذا الجزء أكبر من حجمه تكون الخسارة أكبر من الربح والتعاسة أقرب من السعادة .

«الأهل والولد» : جزء من حياتنا،وعندما نجعلهم كل حياتنا سنكسبهم، لكن سنخسر أشياء في مقابل ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾المنافقون: ٩.

تأمل التعبير القرآني العظيم؛ كيف عبر عنهم:«فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ».

«المال»:

جزء مهم في حياتنا، لكن عندما يكون هذا الجزء كل حياتنا فسنخسر من أجله الاستمتاع بأهلنا وأولادنا، ونخسر من أجله الاجتماع بأصدقائنا، بل قد تكون الخسارة أكبر والداهية أعظم عندما نخسر من أجله ديننا وأماناتنا.

«الوظيفة»:

جزء من حياتك، عندما يطغى هذا الجزء ليكون كل حياتك فأنت في الحقيقة تخسر أكثر مما تربح .

أعط العمل حقه كاملاً ، ولاتتكاسل في عملك ، لكن لاتكن الوظيفة سبب في أن تهمل أسرتك أو تضيع دينك وتعيش القلق وتكون كالآلة في أحد المصانع، فأنت تحتاج إلى إعادة النظر في مقدار توازنك ووسطيتك .

نحن عندما نُحب نُحب بجنون حتى نوصل من نُحب إلى درجة الملائكية، وعندما نكره نكره بجنون حتى نوصل من نكره إلى درجة الشياطين .

والوسطية والتوازن يرفضان ذلك .

نحن عندما نرغب في كسب شخص معين قد لا نبالي في أن نخسر من أجله أشخاصاً آخرين، والتوازن والوسطية يرفضان ذلك .

عندما يبلغ بك الغضب مبلغه في أمر تافه، فماذا تركت للأمور المهمة التي تستوجب من الغضب ما يناسبه؟ نحن نحتاج إلى التوازن والوسطية في كل شيء؛ في الأكل والشرب، في الاستيقاظ والنوم، في الكلام والصمت، في الإنفاق والإمساك، وفي كل شيء.

عندما أقطع علاقتي بإنسان لغلطة واحدة، فأنا أحتاج إلى إعادة النظر في التوازن والوسطية.

لن تجد إنساناً يفتقد الوسطية والتوازن إلا وما يخسره أكثر مما يكسبه، وما يعجزه أكثر مما ينجزه، بل حتى على مستوى التفكير،فمن يفقد التوازن تسوقه الأفكار السيئة إلى الأمراض النفسية والهموم والقلق، أجارنا الله وإياكم.

أين التوازن والوسطية عمَن يقعده الحزن على فقد محبوب عن ممارسة حياته؟ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفقد أصحابه في الغزوات وما قعد عن الحياة، ولا هجر الابتسام، ولا ندب الحظ، ولا تسخط على القدر، حاشاه.

وما أجمل بيان الله في كتابه وما أعظمه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣ .

بل حتى الأخلاق الحميدة لم تكن حميدة إلا حين عرفت أين تقف؛ فوقفت في الوسط بين خلقين ذميمين .

قال ابن القيِم رحمه الله: «وكلُ خُلق محمود مُكْتَنف بخُلقين ذميمين. وهو وسط بينهما. وطرفاه خُلُقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خُلُقان: البخل والتَبذير. والتَواضع الذي يكتنفه خُلُقان: الذُل والمَهانة، والكِبْر والعُلُو. فإنَ النَفس متى انحرفت عن التَوسط، انحرفت إلى أحد الخُلُقين الذَميمين ولا بدَ».

اللهم وفقنا لنعيش التوازن والوسطية في جميع شؤون حياتنا.

حقيقة لا مفر منها؛ كلما ضاق أفقك زادت تعاستك وتعاسة من حولك بك .

ضيق الأفق، ومحدودية النظر، والنظر من زاوية واحدة، والتزام الزوايا الحادة، وعدم الاعتراف بالزوايا القائمة أو المنفرجة، والسير في طريق لا يسع غيرك معك، والسعي لتكوين تقاطعات، كلها من علامات التعاسة الدائمة .

يا أخي لي أهداف ولك أهداف، ولي آمال ولك آمال، لكن لنجعلها جميعا ضمن إطار هدفنا المشترك «رضا الله وجنّته، والنجاة من عذابه وناره، وخدمة دينه».

هذه من أولى مستلزمات سعة الأفق.

يا أخي من حقك أن ترفض فكرتي، لكن لا يكن ذلك سبباً لأن آخذ منك موقفاً وتأخذ مني موقفاً .

لا تكن حرفياً دقيقاً في كل شيء ومع كل أحد ؛ ليس أتعس من أب وأم يحصون على أولادهم إحصاء دقيقاً ...

ولا أتعس من مدير لا يتغابى أحياناً رحمة بالمرؤوس .

التغابي من سعة الأفق، وكما قيل :

ليس الغبيُ بسيِّدٍ في قومهِ   لكنّ سيِّدَ قومهِ المتغابي

الغضب أحد أبناء ضيق الأفق الأعزاء، لذلك حذّر منه ﷺ، قائلاً: «لا تغضب».

سأنثر لك رحيقاً مختوماً من بعض مواقفه ﷺ، لنرى كيف كانت سعة أفقه، بأبي هو وأمي، ولنسعَ جاهدين للتأسي به في كل أحوالنا:

يشد الأعرابي بردته ﷺ حتى تؤثر في عنقه، ويقول: أعطني من مال الله. فيبتسم ﷺ ويأمر له بعطاء.

الأعرابي يريد المال، وحبيبنا ﷺ يريد للأعرابي الجنة!

يقول للأنصار في سعة أفق ، تطييباً لخواطرهم ، مما وقع في نفوسهم عند تقسيم الغنائم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتعودون برسول الله إلى رحالكم».هنيئاً لكم قسمكم وحظكم يا معشر الأنصار .

تكسر أمنا الصديقة بنت الصديق الصحفة في حضرة الصحابة، غَيرة أن بعثت فيها إحدى أمهات المؤمنين بطعام إلى رسول الله ﷺ، في يومها! فيضحك ويقول: «غارت أمكم! غارت أمكم».

تقول له اليهود: «السام عليكم». فيقول «وعليكم».

فتغضب عائشة وتقول «وعليكم السام واللعنة والغضب».

فيقول «مهلاً عائشة»!

يمر الهلال والهلال والهلال ولم يوقد في بيته نار، وانما طعامهم الأسودان التمر والماء .

وجود مشكلة في مكان عملك لا تعني أنه بيئة وظيفية سيئة، فقط ضيَق الأفق من يظن هذا .

وجود خلاف بين الزوجين لا يعني أن حياتهما فاشلة؛ ضيَق الأفق فقط من يظن هذا!

إذا لم تجد من يقف معك في موقف معين فهذا لا يعني أن الدنيا سوداء كالحة؛ضيّق الأفق فقط من يظن هذا!

إذا خسرت في تجارتك أو فشلت في زواج أو مات قريب أو حبيب فهذا لا يعني نهاية الحياة، ضيّق الأفق فقط من يظن هذا!

ضيّق الأفق يرى الدنيا وطناً وليست لنا وطناً، وإنما نحن قوم على ظهر سفر نغادر تباعاً، كلما ارتحل أحدنا دنا رحيل آخر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

لذلك يطول حزنه فيها وعليها وبها .

ضيّق الأفق يظن أن القوة أساس الرزق، فيقاتل من أجل اللقمة كمن يقاتل من أجل الجنة.

ضيّق الأفق يظن أن امتياز غيره نقص في حقه، وكأنه لا يعلم قول رسولنا ﷺ : «اعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له» .

اللهم وسِّع مداركنا وارزقنا وهبْ لنا سعة أفقٍ تجعلنا ننظر إلى الحياة نظرة صحيحة.

كيف يكون منظر الرجل الذي يرتدي ثوباً طويلاً جداً وواسعاً جداً ثم يخرج لملاقاة الناس؟!

ألا يكون محط الأنظار؛ بل ويتعرض للسخرية من بعض الناس؟

ولذلك قلّ أن تجد من يفعل هذا، إلا أن يكون طفلاً صغيراً لم يكتمل عقله، أو شخصاً ابتلي في عقله .

هذه الصورة الحسية التي نفر منها جميعاً ولا يرضى بها أحد منا لها شقيقة معنوية لا يسلم منها إلا من سلمه الله .

وهي ارتداء الإنسان ثوباً معنوياً أكبر منه بكثير ...

وهو يظن وهو يرتدي هذا الثوب أنه يستطيع خداع الناس، وإنما يخدع السذج من الناس .

فكم من مرتدٍ ثوب علم وهو لا يتجاوز خطوط المبتدئين .

وكم من مرتدٍ ثوب وجاهة؛ وليس له من الوجاهة حظ ولا نصيب .

وكم من مرتدٍ ثوب شعر ولا هو في العير ولا في النفير .

وكم؟ وكم؟!

وأشد من ذلك من يرتدي ثوب الإصلاح وهو من المفسدين؛ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾البقرة: ١١ - ١٢.

يا أخي الكريم، إنْ زين لك الشيطان هذه الثياب فتذكر نظرة الناس إلى من يلبس ثوباً طويلاً وواسعاً، واعلم أنهم ينظرون إليك هذه النظرة وإن كنت لا تعلم .

يا أخي الكريم، حتى وإن كنت أنت من أنت فإنزالك نفسك دون قدرك خير لك وأزكى من إنزالك نفسك فوق قدرك .

واعلم أن من تواضع لله رفعه .

يا أخي الكريم تذكر أن اعتزازك واغترارك بنفسك وأنت على هذه الحال لا يساوي مقت الناس لك .

للأسف نحن في ارتداء هذه الثياب على خلاف السلف الصالح تماماً، فهم يرتدون ثياب التواضع وهم أهل الفضل والعلم والفهم! بل تجد الرجل منهم يُنزل نفسه دائماً دون قدره؛ حتى قال الإمام أحمد بن حنبل، وهو من هو، لمن قال له: جزاك الله عن الإسلام خيراً. بل جزى الله الإسلام عني خيراً.

خلاصة القول:

إن من ارتدى ثوباً أكبر منه أو غير لائق به لابد أن يظهر أمره وينتشر خبره ويعلم الناس حقيقته.

فإن غرك الشيطان في لبسها فانزعها بهدوء بينك وبين نفسك، مع الاجتهاد في أن تكون على قدر ما ترتدي من الثياب.

وتذكر أنك أنت المستفيد الأول من نزعها، وحين تكون أهلاً للبسها فلن يستطيع أحد نزعها منك.

والله يتولانا وإياكم بنفحات رحمته وعظيم هباته، فمن ذا الذي سأله فلم يعطه؟!

لا شك أن الإنسان عندما يبذل أسباباً معينة فإنه يرجو تحقيق نتيجة محددة، ومع هذا فقد يبذل الإنسان جميع الأسباب ولا تتحقق النتائج، أو بمعنى آخر لا تتحقق كما يريد أو كما كان يهدف إليه.

وذلك أن النتائج ترتبط بها أمور تفوق علم الإنسان وقدرته، وهي مرتبطة بحكمة الخالق سبحانه وقدرته.

وكل هذا يدور، بفضل الله، مع خيرة الله لعبده ورحمته به، قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦.

وقال تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٩.

هذه الآيات العظيمة هي علاج لما قد نشعر به عندما نبذل جميع الأسباب وتتخلف النتائج .

وقد نبه الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ في أكثر من آية إلى أن وظيفة الإنسان هي بذل الأسباب فقط، أما النتائج فليس للإنسان تحكم بها ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ الشورى: ٤٨.

ومع أن إنقاذ الناس من عذاب الله يوم القيامة أجل مهمة وأعظم غاية، فإن الله نهى نبيه ﷺ أن يلحقه حزن من عدم استجابة المدعوين : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ الكهف: ٦.

وقال أيضاً: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ فاطر: ٨ .

فإذا كان أمر الهداية والدعوة إلى الله، إن بذل الإنسان الأسباب فيه ولم تتحقق النتائج المرجوة لا يحزن ولا يجزع،فغيره من الأمور من باب أولى .

تأكد أن النتائج إذا تخلفت ولم تتحقق فذلك بحكمة العزيز الحكيم .

كم بذل نوح عليه السلام من أسباب طلباً لهداية ابنه؟!

وكم بذل إبراهيم الخليل من أسباب لهداية والده؟!

وكم حاول الحبيب ﷺ هداية عمه أبي طالب؟!

بل تعال معي، أخي الكريم إلى منظر تراه يوم القيامة:« يأتي النبي ومعه الرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد ».

كم بذل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من أسباب، إلا إن إرادة الله غالبة، وحكمته سابقة .

بل قف معي على اللحظات الأخيرة من حياة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، واسمع ما قال :« لقد طلبت الموت مظانه ولم يكتب لي، فما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو رمية سهم، وهاأنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء ».

لقد بذل سيف الله المسلول جميع الأسباب لنيل الشهادة، إلا أن الله كتب له أن يموت على فراشه!

فليكن شعارك، أخي الحبيب: «**بذل الأسباب وترك أمر النتائج إلى الله سبحانه وفق ما تقتضيه حكمته ويسبق بها قدره**».

لا تطلب من نفسك ولا من غيرك إلا بذل الأسباب الشرعية لتحقيق النتائج المرجوة، ثم بعد ذلك كن على رضاً بكل ما يتحقق، وإن لم يتحقق شيء .

أيها الوالدان، والمعلمون والمعلمات، والمربون والمربيات، اغرسوا هذه القناعة في نفوس أولادكم وطلابكم، وظيفتنا بذل الأسباب فقط.

ومن بذل الأسباب ولم يحقق النتائج المرجوة فكافئوه ولا توبخوه .

أيها القادة والمديرون، قيّموا أعمال مرؤوسيكم ببذل الأسباب وليس بتحقيق النتائج، فهذا هو العدل في هذا الباب.

فليس للإنسان تحكم في النتائج، وإنما وظيفته بذل الأسباب فقط.

وتأكدوا جميعاً أن بذل الأسباب قرين غالباً لتحقق النتائج المرجوة، فإن تخلفت فاعلموا أن الخير في تخلفها مع هذه الحال أعظم من الخير في تحقيقها .

قال السعدي رحمه الله تعالى: «**من بذل المجهود وتوكل على المعبود وأتى الأمور من أبوابها أدرك المقصود؛ فإن لم يدركه كله أدرك بعضه؛ فإن لم يدرك منه شيئاً لم يلم نفسه**».

كونوا على يقين من أن تخلف النتائج مع بذل الأسباب الشرعية حكمة ربانية خيرها علينا في العاجل والآجل فوق ما نتصور، وهذا مقتضى حكمة ربنا ورحمته.

قد تشاهد في حياتك من لا يبذل من الأسباب مثل ما تبذل لكنه يحقق من النتائج فوق ما تحقق؛ فلا يدفعك ذلك إلى الحزن ولا إلى ترك بذل الأسباب؛ واعلم أن هناك أسباباً خفية قد يبذلها غيرك ولا تبذلها من الصدقة والدعاء والاستغفار وبر الوالدين والإحسان إلى الناس، وهذه أسباب جالبة لكل خير نافعة في كل باب، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

حياتنا اليوم كبحر تلاطمت أمواجه؛ ما أن تعلو موجة حتى تسقطها موجة أخرى، ومع حركة الأمواج الدائمة نبحث جميعاً عن مبررات لإخفاقنا عندما نخفق؛ لا نريد أن نكون سبباً في إخفاق أنفسنا، مع أن الواقع يقول إن النسبة الأكبر في كل إخفاق يتحملها المُخفق نفسه ...

لا أنكر أن بعض الإخفاقات ليس للمُخفق سبب فيها البتة .

وكذلك لا يغب عن أذهاننا أن بعض الإخفاقات وقود لنجاحات أكبر قادمة، ولو انتهت أولى المحاولات بالنجاح الأصغر لما حققنا نجاحات أكبر وأسمى.

وأيضاً فالدنيا ليست نهاية المطاف، فكم من إخفاق يعود عليك في الآخرة بالأجور العظيمة .

لكن - عملياً- ما علاج الإخفاق؟

لا علاج للإخفاق كتكرار المحاولة والاستمرار في طلب ما تطلب .

ثم الاستعانة بالدعاء، فهو من أكبر أسباب تجاوز الإخفاقات .

ومن الأمور المهمة أن نعلم أن هناك نجاحات وإنجازات لسنا أهلاً لنيلها في وقت ما، ولو نلناها لكانت باب شر وسوء علينا .

وكم إخفاق فتح باب دعاء ومناجاة؛ ولو تحقق النجاح مباشرة لكان ذلك قاطعاً للعبد عن حلاوة الدعاء ولذة المناجاة وانكسار النفس بين يدي الله .

وبيت القصيد في هذه القاعدة؛ عندما تخفق أغلق باب نظرية المؤامرة، فمن أنا وأنت حتى نشغل تفكير العالم ونجعلهم يتركون

البحث عن نجاحهم ويتفرغون للبحث عن إخفاقنا وفشلنا .

فإن أبيت وجمعت الأدلة واستعنت بالقرائن وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك وظهر جلياً كالشمس في وسط النهار أن إخفاقك بسبب مؤامرة؛ فنم قرير العين، فقد كفاك الله ذلك وبشرك بالسلامة، وتوعد أهل المكر السيء فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ فاطر: ٤٣.

وقال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣.

لسنا أول أناس يعيشون على هذا الكوكب، ولست أول من يُمكر به، ولست آخر من سيرى نصر الله وتمكينه!

قتل الملك الساحر والوزير والغلام كي لا يؤمن الناس ، فلما حضروا قتل الغلام رددوا بصوت واحد «آمنا برب الغلام». ثم ماذا؟﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ البروج: ١.

مُكر بإبراهيم الخليل عليه السلام، وجُمع الشهود وأُدين في قضية آلهتهم، وأوقدوا ناراً عظيمةً ثم ماذا:﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٩.

وقتل فرعون أطفال مصر من أجل موسى عليه السلام، ثم ماذا؟

ربّى موسى في بيته وأمام عينيه!

مُكر بيوسف عليه السلام، ثم قيل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يوسف: ٨٨.

ونسوا كم تجرع هو بسببهم من ضر!

ومُكر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم قيل له «أخ كريم وابن أخ كريم».

ليس الكل يتمنى نجاحك ويسعد بذلك، ولكن كن كما قال الفاروق المُلهم «لست بالخب ولا الخب يخدعني».

لا يحملك مكرهم على اللعب بأوراقهم نفسها،فحاشاك أن تكون مثلهم؛ هم يعرفون حسابات الأرض، وأنت اعتمد على حسابات السماء، وتذكر أن الله ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦.

وحتى لو استطاعوا أن يحققوا هدفهم فتفشل في تحقيق أهدافك، فاجعل هذا الفشل وقودا لنجاحك، واجعل هذا الفشل طريقك للمجد.

حقيقة مهمة ينبغي أن نقف عندها ونعمل من خلالها؛ هذه الحقيقة واضحة جلية لكل من تتبع حياة الناجحين من الأشخاص والمؤسسات والجهات، بل حتى الدول.

هذه الحقيقة تقول: «النجاح مبادرة».

وأول الناجحين وأعظم الناجحين وأصدق الناجحين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وحياتهم مليئة بالمبادرات التي لا حد لها ولا حصر.

بادر أبو بكر الصديق، فكان ثاني اثنين ، وبادر عمر فكان فاروق الإسلام، وبادر عثمان ففاز بقوله ﷺ : «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم».

وبادر علي ففاز براية خيبر، وكان الرجل الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله على يديه.

وبادر عكاشة فكان من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

وأنى لي أن أحصي مبادرات أصحاب رسول الله ﷺ.

من هنا نعلم أهمية المبادرات الخيرة وارتباطها الوثيق بالنجاح.

ولكي تنجح أية مبادرة ينبغي أن تكون عظيمة المعنى قوية المبنى خالصة للملك الأعلى.

وينبغي أن يكون أثرها باقياً وهدفها سامياً.

فالمبادرات الكلامية وحدها لا تكفي، والمبادرات من دون كلام يدعمها لا تكفي أيضاً.

ولا تبادر بما لا تستطيعه، ولا تبادر بأقل مما تستطيع.

وتعظم المبادرة بعظمة ما تدعمه وتسعى لتحقيقه، ولا مطلوب أعظم من العلم وأشرف منه.

وليست المبادرة مولوداً فرداً لا أخ له ولا معين، بل إن أهل النجاح مبادراتهم مستمرة، فلا تكاد تنتهي مبادرة إلا تبعتها أخرى.

والمبادرات فيها سعة لكل من يريد أن يبادر بخير ، بل إن المبادرة الواحدة تسع الخلق الكثير يعملون من خلالها لتحقيق هدف واحد.

والمبادرات الإبداعية تحتاج إلى فكر إبداعي يوظف صاحبه إمكاناته لخدمة دين الله وبلده ومجتمعه.

والمبادرات تحتاج إلى بيئة داعمة واعية تفرح بالانجاز وتعين على النجاح،

ولو تحتفظ بمبادرتك حتى توضع في قبرك خير من أن تعرضها على متشائم كسول وعلى من لا يقدرها قدرها ولا يهتم بأمرها.

والمبادرة كي تنجح وتستمر تحتاج إلى خطة عمل مستمرة وفريق عمل ناجح.

هذه بعض مواصفات المبادرات الناجحة، باختصار، فطبقها على مبادراتك، وبادر فالنجاح مبادرة.

القاعدة الثامنة: ليكن لك جديد دائماً

الحياة بلا جديد تصبح مملة لا طعم لها ولا لون ولا رائحة.

فإن لم يكن للإنسان في كل حين جديد شعر بالضيق والنكد، وشعر بأنه واقف في مكانه لم يتحرك.

وجديد الناس يختلف باختلاف تقواهم واهتماماتهم وقدراتهم وإمكاناتهم.

فجديد بعض الناس المحافظة على الصلوات الخمس وتكميلها وتحسينها، وأنعم به من جديد، وأكرم به من عمل.

وجديد بعض الناس أموال وتجارات وشركات وصفقات وبيع وشراء.

وجديد بعضهم درس ومحاضرة وكتاب ودورة وعلم.

وجديد بعضهم قصائد وأبيات وشيلات.

وجديد بعضهم سفر وسياحة وزيارة مدن لم يزرها ودول لم يصل إليها من قبل.

وجديد بعضهم صلة رحم ووصل قريب وزيارة مريض.

وجديد بعضهم مشاريع خيرية؛ كفالة يتيم وبناء مسجد وتوزيع كتاب وإهداء شريط.

وجديد بعضهم حل مشكلات وإصلاح خلافات وتقريب وجهات نظر بين متخاصمين، وإعادة المياه إلى مجاريها في أسرة أو بين إخوة.

وجديد بعضهم تفاهات وسخافات لا دنيا ولا دين.

وجديد بعضهم ذنوب وآثام وغدرات وفجرات.

وجديد بعضهم اعتداء وظلم وغيبة ونميمة.

وجديد بعضهم عقوق وقطع أرحام وأكل مال حرام.

وجديد بعضهم استهزاء بالدين وسخرية بأحوال الصالحين.

وفي زحمة جديد الناس لنسأل أنفسنا عن جديدنا؟

الجديد منه ما هو جديد نافع، وجديد مضر، وجديد نفعه قاصر، وجديد نفعه متعدٍ، وجديد ضرره قاصر، وجديد ضرره يتعدى.

فليكن أدنى جديدك ما فيه نفع وإن كان قاصرا، وإياك أن يكون جديدك مضراً وإن كان قاصراً.

وقد يكون للعبد جديد خير وجديد شر، ونهايته للغالب منهما.

فليحرص المسلم على هجر جديد الشر والابتعاد عنه، والتزود من جديد الخير والإكثار منه.

وتعال لتقف معي على جديد قد نراه غريباً، لكنه من الجديد النافع الذي تعدى نفعه وطاب أصله.

إنه جديد الصحابي الجليل حنظلة رضي الله عنه، هل تعلم ما هو جديد حنظلة؟

جديد حنظلة محاسبة نفسه والشكوى إلى أخ صالح علّه يدله أو يرشده!

لقي أبو بكر الصديق رضي الله عنه حنظلة فسأله عن حاله، فقال حنظلة: «نافق حنظلة».

هذا جديده رضي الله عنه، لم يغتر بصحبته ولا جهاده ولا مجالسته لرسول الله ﷺ وإنما اتهم نفسه الطاهرة الزكية؛ **فعن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيْدِيِّ- وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟**

قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

رواه مسلم.

خاتمة:

محاسبة النفس من أهم الجديد، بل هي مهمة في كل جديد، ومن حاسب نفسه قدّم الجديد المفيد وابتعد عن الجديد المضر.

القاعدة التاسعة: لاتخدع نفسك

الإنسان في هذه الدنيا يخشى أن يخدعه الناس ، ويحذر من ذلك أشد الحذر؛ ولكنه يخدع نفسه كثيراً ، دون أن يُعير ذلك أي اهتمام غالباً، إلا من رحم الله.

والقضية أن آثار خداع أحدنا نفسه خطرة، وتمتد تلك الآثار عليه في الدنيا والآخرة.

لو خدعك صاحب أو قريب في موقف واحد لكان ذلك عند البعض مبرراً قوياً لقطع تلك العلاقة واتخاذ موقف من ذلك الشخص زمناً طويلاً، إن لم يكن العمر كله.

ونخدع أنفسنا مراراً وتكراراً ولا نتخذ موقفاً حاسماً ننهي فيه كثيراً من مهازلنا التي نعيشها مع أنفسنا.

نخدع أنفسنا في تسويف التوبة، والاستمرار على الذنوب، فكم في هذا من خداع للنفس .

نخدع أنفسنا عندما يفوتنا في اليوم فرض أو أكثر مع جماعة المسلمين.

نخدع أنفسنا عندما نُصدق ثناء الناس علينا ونحن نعلم من أنفسنا غير ذلك فلا نرفعها بالأفعال الكريمة إلى مقام ذلك الثناء، ولا نلزمها باب الاستغفار والإنابة إن لم نستطع بلوغ ذلك المقام.

نخدع أنفسنا عندما نكون على يقين بالخطأ في موقف معين ثم نصر على كوننا على صواب.

نخدع أنفسنا عندما نمني النفس بساعات جد قادمة ودقائق حزم آتية ونحن نسرح ونمرح في أودية الكسل والبطالة ليل نهار.

نخدع أنفسنا عندما نريد أن يكون أولادنا من أهل التميز ولم نجلس معهم ساعة في اليوم ولم نحاورهم ولو دقائق ولم نرسل في ظلمات الليل البهيم دعوات لهم بالصلاح والفلاح.

نخدع أنفسنا عندما نظن البر تقبيل يد أب أو تقبيل رأس أم ونحن لم نجالسهم ولم نؤانسهم ولم نقض حوائجهم بأنفسنا.

نخدع أنفسنا عندما نشغلها بهموم تافهة وأماني ضحلة لا تنفع في دنيا ولا تدخر لآخرة.

نخدع أنفسنا عندما نضع لها مبررات لمحاربة الناجحين ومحاولة التقليل من شأنهم.

نخدع أنفسنا عندما نجعل محبتنا للناس أساساً لتقييمهم دون النظر إلى إنجازاتهم ونجاحاتهم وأعمالهم.

خدعنا أنفسنا حتى تعبنا من خداعنا إياها، فمتى نقف منها موقفاً حازماً نصلح ما فسد ونصحح الخطأ ونسير في الطريق الصحيح ونعيش الحياة بجد واجتهاد وصدق ووضوح وعزم وعمل؟

خاتمة :

خداع النفس قد يكون دائماً، وقد يكون مؤقتاً، وقد يقع من البعض دون غيره؛ ولا أحد يستطيع أن يحكم عليك أنك تخدع نفسك غير نفسك، والله المستعان.

وأنت تسير في حياتك تمر في طريقك بأبواب مختلفة؛ أبواب للخير وأبواب للشر. كل إنسان يقع له الشيء نفسه؛ وهذه الأبواب بعضها مفتوح وبعضها مغلق، باختلاف نوعيها.

والتعامل مع هذه الأبواب خطر جداً؛ فقد تفتح باباً من أبواب الشر لا تستطيع إغلاقه، ويستمر في حياتك وبعد مماتك؛ وقد تغلق باباً من أبواب الخير لا يفتح بعد إغلاقك له.

لذلك ينبغي لأحدنا أن ينتبه إلى ذلك، فالحياة ليست فترة نقاهة، ولا مكان نزهة، بل هي مرحلة ابتلاء ومكان اختبار!

لكن قد يقول أحدنا: ماذا أفعل تجاه هذه الأبواب؟

صحيح أن البعض لا يُحرك ساكناً؛ فلا يفتح باباً من الخير مغلقاً، ولا يغلق باباً من الشر مفتوحاً، وهذا تصرف سلبي وصاحبه على خطر. ولذلك ينبغي أن يتأمل الإنسان في تصرفاته وأفعاله وكل ما يتعلق به، حتى كلماته، ويسأل نفسه: ماذا يمكن أن ينتج منها؟

وليكن شعاره مع نفسه: لا أُغلق باب خير ولا أفتح باب شر، وأحاول قدر استطاعتي وبحسب إمكاناتي، وبما لا ينتج منه أضرار أكبر منها، أن أسهم في فتح أبواب الخير المغلقة وأُسهم في إغلاق أبواب الشر المفتوحة.

وأيضاً أجعل من مهمتي في الحياة دلالة الناس على أبواب الخير المفتوحة، وتحذيرهم من أبواب الشر المفتوحة.

ثم إذا عاش الإنسان وفق هذا المنهج صار مع الوقت هو نفسه من مفاتيح الخير مغاليق الشر، الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ.

بعض الناس يملك همة عالية، فليست مشكلته من جهة دون الهمة، ولكن مشكلته في حسن توظيف هذه الهمة العالية .

تأمل هذا الحديث؛

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» .

فهذه الجنة لها أبواب، والأعمال الصالحة أبواب الجنة، ولكل باب منْ يدعى منه خاصة .

وهذا يعني أن بعض الناس يفتح له باب غير الذي يفتح لغيره، وقد يُغلق عنه باب ويُفتح لغيره، وقد يُفتح له باب ويُغلق عن غيره .

في حياتنا الدنيا قد نظل نطرق باباً لم يكتب الله أن يُفتح لنا ؛وهذا هو الخلل عند بعض من رزقه الله همة عالية، لكنه لم يُوفَق لحسن توظيفها .

فيصرف عمراً طويلاً وجهداً عظيماً، ولن يُفتح له هذا الباب؛ لأنه لم يُكتب أن يُفتح له .

صحيح أننا لا نعلم المكتوب، ولكن للمكتوب علامات، فإذا رأيت أنك تصرف وقتاً وتبذل جهداً ولا ترى أثراً ومر على ذلك وقت كاف، فهذا يعني أن عليك أن تترك هذا الباب وتبحث عن باب آخر سُيفتح لك إن شاء الله، ولكن ينتظر منك أن تتوجه إليه فقط .

تأمل وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه تجده يوصي هذا بشيء وذاك بشيء وآخر بشيء آخر!

لأن الناس تختلف، والأبواب كثيرة وليست محصورة، والحكمة تقتضي أن يتوجه كل شخص إلى الباب الذي يناسبه .

في مجتمعنا نتأثر ببعضنا تأثراً عظيماً؛ فإذا رأينا فلاناً توجه توجهاً معيناً ونجح فيه توجهنا كلنا إلى هذا الباب، ولكن حكمة الله تقتضي أنه لن يُفتح للجميع، لأن هناك أبواباً معينة تنتظر أصحابها .

أتوقع أن الفكرة وصلت والصورة اتضحت، لذلك أعد حساباتك من الآن؛ هل أنت تطرق أبواباً ولم تَر أثراً يدل على أنها ستفتح لك؟ لا تُضع مزيداً من الوقت ولا تصرف مزيداً من الجهد على هذا الباب، فكر وابحث عن الباب الذي يناسبك، وسيُفتح لك إن شاء الله.

هذه قاعدة بدهية في التعامل مع النار؛ لا تضف إليها وقوداً وأبعد عنها المواد المشتعلة، ثم لا تلبث النار أن تخمد من نفسها، لأنها لم تجد وقوداً بعد أن تأكل بعضها .

كما قيل :

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

كثير من المشكلات تقع، وكثير من العلاقات تُهدم، وكثير من الصداقات والقرابات تقطع، بل حتى أسر تفترق، وأطفال يعيشون مآسي، وحب يموت، بسبب إضافة وقود إلى نار مشتعلة في لحظة غضب .

يهيج الطرف الأول تحت ضغط ظرف معين، ويرى الطرف الثاني أن سكوته ضعف وجبن، وعندها تزداد النار اشتعالاً فتحرق الطرفين حروقاً تبقى طول العمر، لا تذهب آثارها وأضرارها إلا أن يشاء الله.

صحيح أن الطرف الأول نقطة البداية، لكنه مهما فعل، إذا لم يضف الطرف الثاني وقوداً، فسيكون اشتعال النار محدوداً؛بل لو ابتعد مباشرة لخمدت نار الغضب .

عندما يوصي النبي صلى الله عليه وسلم الرجل فيردد مراراً «لاتغضب» فهذا يكفي لبيان أهمية الابتعاد عن الغضب .

الحكمة في التعامل مع مثل هذه المواقف عملة نادرة، لذلك تجد من رزقه الله ذلك محبوباً من الجميع، فيسمى جبلاً لا يتزعزع، ويسمى وسيع صدر .

قد ترد بالقوة نفسها أو أكثر، وقد يكون صاحبك هو المخطئ، لكن

في النتيجة تخسر أنت ويخسر هو،ويفرح الشيطان .
الهدم أسهل من البناء، كما تعلم، لكنه يظل مؤلماً مهما كان .
عندما تهدم صداقة عمر من أجل لحظات غضب عابرة فقل: سلام على الدنيا .
ثم لو تأملنا حياتنا لم نجد لحظات الغضب حلت مشكلة أبداً، وحتى لو ظننا أن المشكلة انتهت فإنك بحساب الأرباح والخسائر ستجد الخسائر أضعافاً مضاعفة دينياً، غير الخسائر الدنيوية.
الحياة الناجحة والسعيدة هي التي يضع صاحبها لنفسه ضوابط يسير عليها دائماً وقواعد يتبعها في كل أمر .
فما رأيك لو جعلت لنفسك من هذه اللحظة قاعدة؛ عندما يغضب الطرف الآخر أياً كان؛ زوجاً أو قريباً أو صديقاً، سألتزم الهدوء وسأبتعد حتى يسود الهدوء .
وأيضاً لن أتخذ أي قرار في لحظة الغضب أبداً.
وعندما أغضب لن أتكلم بأية كلمة سوى الذكر والاستغفار .
إذا فعلت هذا فأعلم أنك تغيظ الشيطان وتحافظ على مكاسب حياتك من الأقارب والأصدقاء والزملاء .
كفى تهاجراً وتقاطعاً وتحاسداً وعداوات .
أسس لنفسك حياة تسميها «حياة المحبة والمودة والإخوة والصفاء» .
أمتنا اليوم في غاية الحاجة إلى هذا الصفاء والمودة والله المستعان .

استوقفني حديث تخيير النبي ﷺ لأزواجه، وأبكاني حسن جواب عائشة رضي الله عنها .

فقلت: أي عقل تحمل هذه الصديقة، وأية حكمة تنطق بها، وبأية قريحة وبديهة تتحدث .

سألت نفسي؛ كم عمرها عندما أجابت بهذا الجواب؟

فزلزل كياني وهز وجداني أنها لم تكن تجاوزت السادسة عشرة من عمرها!

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي -ﷺ- أخبرته: أن رسول الله -ﷺ- جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك ألّا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، وقد عَلمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: وإن الله قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴿٢٨﴾ ﴾الأحزاب: ٢٨ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت. رواه البخاري وأحمد .

قال في فتح الباري (٨/٥٢٢) : «فإن التخيير كان في سنة تسع».

ولا يخفى عمر عائشة عند وفاة النبي ﷺ، كما في صحيح مسلم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزفت إليه وهي بنت تسع سنين، ولُعَبُها معها، ومات عنها وهي بنت ثمانِ عشرةَ .

ومن المعلوم أن وفاة النبي ﷺ كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة .

قلت: فيكون عمر عائشة عند التخيير ست عشرة سنة .

تأمل حب النبي صلى الله عليه وسلم لها وإرشاده لها بأن تستأمر أبويها!

لكنها مسألة محسومة عند الصديقة بنت الصديق؛ مسألة ليس فيها أنصاف حلول ولا تستدعي تردداً ولا تريد فيها استشارة أحد مهما كان ناصحاً ...

فكان جوابها كالغيث العميم والبدر المنير؛كان جوابها جواب من لا يبيع الغالي بالرخيص ولا الباقي بالفاني .

أجابت:ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

لا إله إلا الله؛ كلمات بنت السادسة عشر تعجز عنها أعقل النساء، فقد جمعت بين حسن الاختيار وجزالة الرد وسرعة الجواب، فلا غرابة؛ ففضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

ولا عجب من حبه ﷺ لها، فقد أحب نفساً زكية وروحاً طاهرة وعقلاً راجحاً، وزيادة على هذا فهي بنت الصديق.

أمنا عائشة تعطينا دروساً في أن الله ورسوله والدار الآخرة لا يُعدل بها شيء، حتى إذا مر أحدنا باختبار لا يخطئ فيماذا يختار؟

فلماذا يتطاول البعض على جناب عائشة وقد اختارت الله ورسوله والدار الآخرة؟ وهم يقدمون أقل القليل من الدنيا على الآخرة.

ومن المؤسف أن يتحدث من لا علم عنده ولا خلاق له عن زواج النبي ﷺ بعائشة مع الفارق الكبير بينهما في السن.

وهم لا ينكرون أن نضج المرأة العقلي هو أكبر سبب لسعادة الرجل العاقل بها.

فهل في رجاحة عقل عائشة شك؟!

بل هل في فضلها ودينها وعلمها ريبة ؟!

كم في هذا الحديث من دروس وفوائد يعجز عند عدها العادون!

ولعلي أختم بفائدتين تربويتين مختصرتين:

الأولى: بعض الأمور التي تمر بنا لا تحتاج إلى استشارة، فما علينا إلا الإقدام عليها دون تردد، وهي كل موضوع كانت مصلحته راجحة دينياً ودنيوياً، وكل أمر يحبه الله ورسوله ﷺ، ويقربنا إليه سبحانه وتعالى.

الثانية: ارحموا أولادكم من تصغيرهم واعتبارهم صغاراً وعدم تمكينهم من الاختيار الحر، وقارنوا بين سن أم المؤمنين عائشة وهي تختار بدون مشورة ولا تردد، وبين أعمار أولادنا، ولا شك في اختلاف موضوع الاختيار؛ فشتان بين ما تختار فيه عائشة وبين ما يختار فيه أولادنا، بل شتان بينها وبيننا فكراً وعقلاً واختياراً.


المجموعة الثالثة :
قواعد
في التعامل
مع الآخرين

عندما لا يُفلح مفتاح تحمله في فتح باب معين فما عليك إلا أن تبحث عن مفتاح للباب المغلق، أو باب يُفتح بالمفتاح الذي تحمله.

فدورك يقتصر على اختيار المفتاح المناسب للباب المناسب.

وكثير من الناس، عندما لا يُفلح المفتاح الذي يحمله في فتح الباب الذي يريده، يظن أن هذا الباب لا يُفتح أبداً، أو أن هذا المفتاح لا يصلح مطلقاً.

فيأتي غيره إلى الباب نفسه بمفتاح آخر فيُفتح له، ثم يتساءل بعد ذلك كيف فُتح له؟

عندما تريد أن تطلب شيئاً من شخص معين؛ فإنك تبحث عمن يملك تأثيراً نفسيا على هذا الشخص.

عندما سرقت المرأة المخزومية وأرادت قريش أن تكلم النبي ﷺ في شأنها بحثوا عمن يظنون أنه يملك تأثيراً على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حِبّه وابنِ حِبِّه أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

لكن الموضوع كان أكبر من شفاعة، إنه حد من حدود الله؛لذلك رد النبي ﷺ على أسامة بأمرين:

الأول: معاتبته له بقوله ﷺ : **أتشفع في حد من حدود الله؟!**

الثاني: بيان عظم الأمر، بقوله ﷺ : **«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».**

وعندما نذرت أم المؤمنين عائشة ألاّ تكلم ابن الزبير بحث عمن ترق له، فكلم المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وأدخلاه عليها ولم يزالا بها حتى عفت عنه وتراجعت عن هجره.

المقصود أن استخدام هذه القاعدة موجود ومعروف، وإن لم يُعبر عنه بلفظه.

وهذا فيما يخص استخدامها مع الأشخاص، وكذلك استخدامها مع المقاصد والأهداف والأوقات.

فعندما لا يتيسر لك أمر من الأمور في وقت ما، فهذا لا يعني أنه لن يتيسر لك أبداً.

فما عليك إلا المحاولة في وقت آخر.

وعندما لا تحقق هدفاً معيناً من أهداف حياتك ؛فهذا لا يعني أنك لن تحقق أي هدف آخر.

وعندما لا تنجح في علاقتك مع شخص معين أو في عمل معين ، فهذا لا يعني أن علاقتك مع كل الناس ستكون فاشلة، ولا يعني أنك ستفشل في كل عمل تمارسه.

وعندما لا توفق ولا يفتح لك في باب من أبواب العلم ؛ فهذا لا يعني أن ترضى بالجهل وتترك طلب العلم جملة، لكن ابحث عن باب من أبواب العلم يفتح بالمفتاح الذي تحمله؛ وهو قدرتك وإمكاناتك.

نحن، إلا من رحم الله، أنا وأنتَ وأنتِ وهو وهي نخوض كل يوم معارك خاسرة، ونحقق فيما يبدو لنا انتصارات؛ ولكنها للأسف انتصارات كاذبة؛لأن هذه الانتصارات لا تقدم ولا تؤخر، لا تحدث شيئاً جديداً أو نافعاً في دنيا الناس.

صحيح أن هذه المعارك قد لا تُرى ولا يشعر بها من حولنا؛لكننا نعيش تفاصيلها في أنفسنا .

كل منا يعيش تفاصيل هذه المعارك بحسب اهتماماته؛لم يعد أحدُ منا بمنأى عنها، إلا من رحم الله .

منا من يعيشها مع زملائه في العمل، ومنا من يعيشها مع أصدقائه، وآخر يعيشها مع أقربائه.

للأسف هذه المعارك تعيشها النُخب الفكرية ويعيشها أصحاب الحرف اليدوية .

بيت القصيد فيها وسببها المعلن وغير المعلن صرخة الشيطان التي أطلقها يوم أُمر بالسجود لآدم عليه السلام.فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ الأعراف: ١٢ .

ويُشعل فتيل هذه المعارك حب الظهور والتعلق بالدنيا، ويوجهها نمام محترف وعدو في ثوب صديق، وحقد وحسد، ونفوس ماتت هممها فجعلت أدنى الأمور أعلاها، وأعلى الأمور أدناها .

حقيقة يجب ألاَ تغيب عنا جميعاً؛ فمهما كنت مميزاً فهناك من هو «أكثر منك امتيازاً» ...

ومهما كنت زكياً فهناك أزكى منك!

لماذا تحشر نفسك في زاوية ضيقة تحاول بها إسقاط من فضله الله عليك في أي جانب من جوانب الحياة ؟

ولو عقلنا لعملنا بمقتضى الحديث الشريف الصحيح الصريح: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».

يستيقظ أحدنا وهو يظن أن الدنيا كلها ليس فيها إلا كرسي واحد للجلوس؛ فيقاتل من أجله ويوالي من أجله، ويعادي من أجله، وقد يخسر مبادئه من أجله، وقد يبيع دينه من أجله .

فإذا انتهت المعركة والتفت وإذا بالكراسي الموجودة أكثر من عدد الحضور أصلاً، وإذا بالنصر الذي حققه لا يساوي أقل القليل مما خسره .

يعرف الشرق والغرب فوائد فِرَقِ العمل، ويجتمع الناجحون والمميزون ليحققوا نجاحاً أكبر وإنجازاً أعظم، ونظل نحن، إلا من رحم الله، نغرق في فردية مقيتة لا تقطع أرضاً ولا تبقي ظهراً .

وحتى عندما نكون فريق عمل نغرقه في الفرديات .

لا أدري لماذا يظن البعض أن النجاح لا يمكن أن يكون نجاحاً إذا كان مشتركاً؟

ولا أدري لماذا يظن البعض أنه لن ينجح حتى يُخفق غيره؟!

جعلوا للنجاح نظرية مضمونها: «ليس للنجاح إلا كرسي واحد، ولن تنجح حتى يخفق غيرك».

ليتنا نقف ونتأمل قول إمام من أئمة الناجحين الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ».

وقال: «ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يُبين الله الحق على لساني أو على لسانه».

لله ما أزكى هذه النفوس ؟

هل تعلم ما هي مكانة الشافعي وحجمه ؟!

حدث الربيع بن سليمان قال: «كان الشافعي يجلس في حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف، رضي الله عنه».

وحدث محمد بن عبد الحكم قال:« ما رأيت مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون منه، وأصحاب الفقه الموافقون والمخالفون لا يقومون إلا وهم مذعنون له، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه».

رحم الله الإمام الشافعي.

أمتنا ليست في حاجة إلى مزيد من الجراح والتشتت.

معارك خاسرة تجعل البعض يبيع الصداقة والود بتأويلات لأفعال الآخرين ما أنزل الله بها من سلطان.

وكأن هدفنا أن نبحث فقط عن أمر يجعلنا نتهاجر ونتخاصم، وأشد من هذا وأنكى أن نبتسم لبعضنا ابتسامات صفراء خلفها

قلوب مُلئت بالغل والحسد!

مسكينة قلوب بعض الناس ؛ خُلقت لتحمل الحب والسلام، فحملوها الكره والبغض، فأتعبتهم وأتعبوها، وعن مراد الله أبعدوها.

الحياة قصيرة جداً، سنرحل يوماً ما، مهما بعد فهو قريب.

تذكروا: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

القاعدة الثالثة

هناك شخص أو مجموعة أشخاص إنما أنت حسنة من حسناتهم

إحسان الناس إلى الناس دائم ومتنوع، فإحسان بالتعليم، وإحسان بالتربية، وإحسان بالمال، وإحسان بالرأي، وإحسان بالنصح والتوجيه، وغير ذلك من أنواع الإحسان، التي هي فضل من الله على المحسن والمحسن إليه، ومن إحسان الله سبحانه على خلقه جميعاً.

إحسان أمٍّ أو إحسان أب أو إحسان معلم أو إحسان قريب أو إحسان صديق أو إحسان زوج أو إحسان ولد أو إحسان رئيس، أو غير ذلك، باختلاف صِلاتنا وعلاقاتنا مع غيرنا.

وتختلف الأنفس في التعامل مع إحسان المحسنين، فنفس لا تنسى هذا الإحسان أبداً ما بقيت مهما قلّ، وتذكره في كل حين ووقت وتُخبر به كل أحد، وتلك نفوس الكرام ونفوس فرسان الأخلاق وأهل القلوب الطيبة النقية.

ونفس لا تذكر هذا الإحسان ولا تجحده ولا تنزل صاحبه منزلة مميزة بسببه، بل ترى أنه قام بما يجب عليه، ويقول صاحبها لنفسه لو كنت مكانه لفعلت مثل فعله.

ونفس لا تريد لهذا الإحسان أي ذكر، ولا تريد أن يعلم به أحد تخشى أن يكون سبباً في رفعة المحسن، وهي تكره ذلك خوفاً من أن يفوقها أو يكون خيراً منها في نظر الناس، ولكن من غير أن تعادي المحسن أو تثرب عليه أو تتبع عوراته.

ونفس تنسى ذلك الإحسان بالكلية وتجحده وتنكره وتعادي صاحبه حسداً وبغياً وخسة ودناءة وقلة حياء وضعف ديانة.

يصدق فيها قول الشاعر:

أعلمه الرمايـــة كل يومٍ   فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي   فلما قـــال قافية هجاني

يحاول صاحب هذه النفس لمز المحسن في كل حين ولأي سبب، ويحاول أن يشكك في نياته، ويحاول أن يقلل من مكانته، ويحاول أن يظهر عليه في كل شيء.

قد يعلمك معلم فتكون بعد ذلك أنت أعلم منه؛ وقد يرشدك تاجر فتكون بعد حين أغنى منه، وقد تستمع إلى داعية وتستفيد منه ثم تكون بعد ذلك أنفع منه وأكثر نشاطاً، وقد يعينك شاعر فتكون بعد ذلك أكثر إبداعاً وإمتاعاً منه، وقد يعطيك رئيس أساسات العمل وأولويات النجاح ثم تصل بعد ذلك إلى مالم يصل إليه.

كل هذا وارد، وهكذا هي الحياة، لكن المؤلم أن تتنكر له، والمحزن أن تشنع عليه من غير سبب حقيقي واضح، وإنما مبررات تقنع بها نفسك وتحاول أن تقنع بها غيرك.

كم تطاول بعض الطلاب على مشايخهم ومعلميهم؟

ليس هذا من الإسلام في شيء، وليس هذا من الأخلاق في شيء، وليس هذا طريق أهل الإحسان.

عندما تسول لك نفسك أمراً كهذا فقل لها يا نفس: «إنما أنا حسنة من حسناته».

ولن تجد أصدق من نفسك معك ولك إن تجردت حقاً وأردت منها صدقاً.

إن سلف منك خطأ في هذه الجزئية فاستغفر الله منها، واطلب العفو والسماح ممن خيبت ظنه فيك، والله يغفر لنا ولكم.

نحن، إلا من رحم الله، نحمل قدراً من الأنانية تجعلنا نفكر في أنفسنا، أنفسنا فقط، ونقيّم الناس بحسب إسهامهم في نجاحنا وتفوقنا أو في حياتنا بشكل عام .

وتجدنا نسأل أنفسنا: ماذا قدم لنا فلان؟

أنا لا أقول:ألْغِ هذا السؤال من قاموسك ، لكن أقول لا تطرحه إلا وتطرح معه سؤالاً آخر :

ماذا قدمت أنا لفلان ؟

ماذا قدمت الزوجة لزوجها مساهمة في نجاحه ؟

وماذا قدم الزوج لزوجته مساهمة في نجاحها ؟

وماذا قدم كل من الأخوين لأخيه ؟

ألست معي في أن أكثر النجاحات في مجتمعنا ذاتية؛ كمال قال الشاعر: نفس عصام سوَّدت عصاما وعلمته الكر والإقداما

وصيّرتـــه ملكاً همامـــا حتى علا وجاوز الأقواما

كيف ستكون حجم النجاحات في حياتنا لو أسهم كل منا في نجاح الآخر بما يستطيع؟

كم أتمنى أن نُلقي نظرة على شركاء حياتنا، ابتداء من الزوجين والإخوة والأصدقاء والزملاء، وقبلهم الوالدين والأولاد، لصنع نجاحات مشتركة .

كم من زوج يبلغ ذروة المجد وليس لزوجته في ذلك خيط إبرة؟ وكم من زوجة تعانق بنجاحاتها عنان السماء وما لزوجها في ذلك أقل القليل؟ ... كلٌّ مشغول بنفسه فقط!

وليس له أثر في غيره، بل ولا في أقرب الناس إليه .

لن تستطيع أن تحقق كل النجاحات بنفسك، لكنك تستطيع الإسهام في كثير منها ولو بالقليل.

قد تصنع النجاح بكلمة أو بدعوة أو بابتسامة، أو بغض النظر عن خطأ أو بموعظة.

ومن يسهم في نجاحاتك، كيف تتعامل معه؟

عندما يقدم لنا شخص خدمات جليلة أو يسهم إسهاماً فعالاً في امتيازنا فإننا - للأسف - قد ننسى ذلك مع مرور بعض الوقت ؛ وكأنه لم يكن له معنا موقف صدق.

هناك أناس يلعبون أدواراً مهمة في حياتنا ويقدمون دعماً حسياً ومعنوياً، وقد لا يعلم عنهم أحد غيرنا، فمن غير اللائق أن ننسى ذكرهم أو نحاول عدم بيان ذلك للجميع، ظناً منا أن ذلك يقدح في نجاحنا أو قد يجعل لهم شأناً أعلى من شأننا!

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

تأمل هذا الخطاب النبوي العظيم في مجمع الصحابة رضي الله عنهم:

«إن أمنَ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متَخذاً خليلاً لاتَخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، ولا يُبْقَينَ في المسجد خَوخة إلاَ خوخة أبي بكر» .

بل يصرح صلى الله عليه وسلم تصريحاً يكتب بماء الذهب في تاريخ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل وفي تاريخ الأوفياء جميعاً حين قال: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلاَ قد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإنَ له عندنا يداً يكافئه اللَه بها يوم القيامة».

وقال: «وما نفعني مال أحد قطُّ ما نفعني مال أبي بكر».

فهل تأسى بالنبي ﷺ من ينسى مواقف أصحاب الأيادي البيضاء عليه أو من يذكر مواقفهم على عجل أو على مضض ، أو باختصار مخل ، أو في المجالس الخاصة فقط؟

نبينا يعلنها على رؤوس الأشهاد شكراً وثناء ودعاء لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

بل تعال معي إلى الساعات الأولى من بعثة النبي ﷺ ، عندما عاد إلى بيته خائفاً وجلاً حتى قال: «لقد خشيت على نفسي».

قالت: «والله لا يخزيك الله أبداً».

إنها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؛ وما أدراك ما خديجة؟!

تأمل واستشعر وقع هذه الكلمة على قلب نبينا ﷺ، بل تخيل أثرها على قسمات وجهه، بأبي هو وأمي .

إن خديجة رضي الله عنها كانت تقوم بدور حق له أن يدرس في الدعم الكامل لشريك الحياة في مهمته وتحقيق أهدافه .

فكيف تعامل النبي ﷺ مع خديجة، وهي التي ماتت قبل أن ترى نجاح دعوته ﷺ .

خذ مثالين لذلك التعامل ؛ «كان ﷺ يذبح الشاة ويقسمها في صويحبات خديجة».

غارت أمنا عائشة رضي الله عنها فقالت: «لقد أبدلك الله خيراً منها».

فقال ﷺ : «والله ما أبدلني الله خيراً منها».

لم تكن عائشة تتوقع أن يكون رد النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهي أحب الناس إليه، لكنها دروس الوفاء تكتب بدموع المحبة وذكرى المودة.

اللهم وفقنا لنسهم في نجاحات الآخرين محبة ونصحاً، ووفقنا لشكر وذكر من كانت أو تكون له علينا يدٌ مهما قلَت أو طال أمدها وزمانها .

عنوان القاعدة واضح، وهذه العبارة ينكر الغالبية العظمى من المجتمع أن تكون هي منطلقهم في علاقاتهم مع الآخرين، ولكن في الحقيقة أنه قلّ من يسلم منها، وهي بالضبط مثل عبارة «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية».

والواقع يقول أنه فسد الود بين كثيرين بسبب الاختلاف في الرأي.

يختلف الأبوان فيريد كل واحد منهما أن يكون الأولاد في صفه، وكذلك يفعل الإخوة والأصدقاء والزملاء في كل اختلاف.

ما يكاد يقع خلاف بين شخصين حتى يبدأ كل منهم يعد من في صفه، ومن ليس معه فهو ضده.

إجحاف وظلم وتعدٍ والزام لغيره بما لا يلزمه وبما يخالف الدين والأخلاق.

لن نتفق في كل النقاط، وسيقع بيننا اختلاف في أقوالنا وأفكارنا، فلا يعني هذا عداوة أو محاربة أو نظرية مؤامرة.

يجب أن نرتقي بتفكيرنا، وقبل ذلك أن نحسن ظننا في الآخرين.

عندما يعادي أخي أو ابن عمي شخصاً فأنا غير ملزم بمعاداته، لسنا في جاهلية دهماء ولا عصبية عمياء.

وعندما يعادي شخص أخي أو ابني فلماذا يعاديني أنا ولم يحدث بيني وبينه شيء؟

للأسف هذا أحد تطبيقات «إن لم تكن معي فأنت ضدي» بطريق عكسي.

لا يلزم من كوني لست معك أني ضدك!

تأكد أني لن أكون معك دائماً، وأنا متأكد من أنك لن تكون معي دائماً إلا في حالين ؛ أن أحدنا لا يخطئ أبداً وهذا غير ممكن ، أو أن أحدنا إمعة يسير خلف غيره دائماً.

الموافقة الدائمة ليست دليل محبة، كما أن الاختلاف ليس دليل عداوة.

كم قُطعت علاقات وهُدمت صداقات بسبب ظن أحد الأطراف أن عدم الموافقة والمتابعة يعني العداوة والمخالفة.

عندما تعذر غيرك في عدم موافقتك في أمر ما بدون أن يكون في نفسك عليه شيء فأنت تعيش بفكر راق وأخلاق إسلامية عالية ونفس مطمئنة كريمة.

صحيح أن هناك من يتقصد الرفض والمخالفة ويقف دائماً ضد أشخاص معينين، لكن هذا لا يعني أن نجعل ذلك قاعدة نبني عليها الأحكام في كل واقعة.

خاتمة:

قد لا أكون معك في أمر ما، لكن تأكد أني لا أقف ضدك.

كثير من المشاريع العلمية والتربوية والخيرية التي يعزم الشخص على القيام بها وعلى تنفيذها يقتلها سؤال نُلقيه على أنفسنا أو يلقيه علينا غيرنا!

هذا السؤال يقول: من سيستفيد من هذا العمل؟ أو يُعبر عنه أحياناً بكم حجم الاستفادة من هذا العمل؟!

هذا السؤال المرير ينبغي أن نحذر منه أشد الحذر، وأن لا نُميت أفكارنا في أنفسنا أو أفكار غيرنا بهذا السؤال!

هذا السؤال يصح أن نُطلق عليه اسم :

«الوأد الخفي للأفكار والنجاحات والإنجازات».

لأننا إذا أوردنا هذا السؤال على كل فكرة فقلّ أن تسلم منه فكرة؛لأن هذا السؤال له امتدادات عجيبة واستطرادات طويلة!

وتأمل هذا الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ:خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ:«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ».

فالله سبحانه وتعالى مع علمه بعدم استجابة أولئك الأقوام بعث إليهم رسلهم .

والرسل عليهم السلام لم يتوانوا في بذل الجهد .

تأمل: رسول كريم وزمن طويل والمستجيب رجلان! وتأمل أكثر: رسول كريم وزمن طويل والمستجيب رجل واحد!

وتأمل أكثر وأكثر:رسول كريم وزمن طويل ولم يستجب أحد!

لم يقل هؤلاء الرسل: كم حجم الاستفادة من هذه الدعوة ؟
ثم لماذا يزهد أحدنا في العمل إذا كان المستفيد منه قليل؟!
فالقليل في ميزان أرحم الراحمين كثير وكبير وعظيم.
ومع هذا فمتى تسأل نفسك هذا السؤال؟
لنجعل هذا السؤال منظماً للعمل لا منهياً له!
هذا السؤال يصلح إذا كنت توازن بين أعمال معينة لا يمكن أن تؤدي إلا أحدها.
أما إن كنت إذا لم تعمل هذا العمل فلن تعمل غيره فلا حاجة إلى هذا السؤال أصلاً؛ بل بادر بعمله .
ثم إذا كان العمل الذي ستقوم به مثلاً تأليف كتاب فأنت تعلم أنك لا تكتب للعلماء ولا لطلبة العلم المحققين، وإنما تكتب لغيرهم، فلا تقل ماذا سيقول هؤلاء عنه وأي فائدة منه!
وإذا كنت ستلقي كلمة فأنت لن تلقيها لإمام الجامع أو لإمام المسجد، فلا تهتم بمستواها بالنسبة إلى مستوى هذين الشخصين، فهي ليست لهما!
وإذا أردت أن تصنع طعاماً للفقراء فلا تفكر في قول الأغنياء عنه وعن بساطته، فأنت لم تصنعه لهم .
ولا أخفيكم أن ما حرك المشاعر لكتابة هذه القاعدة هو رسالة وردتني، لا أعرف كاتبها، يذكر صاحبها استفادته من كتيب كتبته قبل سنوات وهو بعنوان: «أحاديث في الحب» .
وأسوق لكم نص الرسالة:
«د. مصلح بن زويد العتيبي... اجتهدت حتى حصلت على بريدك الإلكتروني، ليس لشيء، إنما لشكرك فقط ...

أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني، قد تكون نائماً أو مجتمعاً مع صحبك أو في طريقك إلى العمل ولا تعلم حجم الدعوات المرسلة إلى السماء من أجلك،لي أيام ليست قليلة وأنا ابحث في أحاديث الحُب الواردة في الصحيحين من أجل تقديم مشروع بحثي لنيل درجة الماجستير يتناول موضوع الحب في السنة النبوية، وفي خضم بحثي أكرمني الله من غير حول مني ولا قوة بكتابك «أحاديث في الحُب»، لا تعلم الهم الذي فرجته عني بكتابك هذا، والوقت والجهد الذي وفرته عليّ ، ومن باب قوله ﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» أقول لك: شكراً من أعمق نقطة في قلبي.

واسأل الله أن يرويك بفرح الحياة ويمطر عليك السعادة ويجعل روحك صافيه من كل شيء، وأن يسقيك من رحمته ماءً زُلالاً يرْوي حياتك ويدمل كُل جِراحها ويجعَل قلبك جنة، ويرزقك الفردوس الأعلى وما دونها من الأفراح.

شكراً».

خاتمة :

لا يشترط أن يكتب لك من استفاد منك فائدة ولو قلّت، وقد لا يخبرك، وقد لا تعلم، ولكن كن متأكداً أن هناك شخصاً سيستفيد ولن يذهب جهدك أدراج الرياح أبداً .

فلنتفق من الآن على إزالة هذا الحاجز من طريق نجاحنا وإنجازاتنا، وألاّ نتساهل في سؤال هذا السؤال لغيرنا إلا وفق ضوابط معينة، وسيأتي يوم من الأيام يستفاد من إنجازك وعملك حتى لو كان ذلك بعد فراقك الدنيا .

«هو خيرٌ مني»؛ يقولها بعض الناس عندما يُسأل عن غيره أو عندما يذكر غيره أمامه، وذلك بدوافع نفسية تحكي عن شخصية عظيمة تقية نقية من الغل والحسد، يقول هذه العبارة وقد لا يكون مصيباً فيها «فقد يكون هو خيراً من المسؤول عنه»؛لكن لما حسن ظنه بإخوانه المسلمين ، وتواضع في نفسه أن لا يرى من صالح أعماله مع كثرتها ما يستحق الذكر، واتهم نفسه أن تكون في أعماله شائبة تقعد به عن منافسة الصالحين والأتقياء أجاب بقوله:«هو خيرٌ مني»، والواقع أنه بريءٌ من ذلك كله.

«هو خير مني»، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كلمة في معناها في خطبته يوم ولي الخلافة ؛ حيث قال: «أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم».بل هو والله خيرهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة في معناها، فقال: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا» يعني بلال بن رباح رضي الله عنهم أجمعين.

وقالها عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أحد العشرة المُبشرين بالجنة لما أُحضر له طعام، فتذكر غزير نعم الله عليه بعد موت جمع من أصحابه، فقال قُتل مصعب بن عمير يوم أحد «وهو خير مني...».

ويكفي من جمال هذه الكلمة «هو خير مني» أنها من مفردات الصالحين والأتقياء.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

ومما يزيد هذه الكلمة جمالاً أنها تربي المسلم على التواضع وحسن الظن بإخوانه، وتورثه الاجتهاد الدائم في الطاعات.

أما قول: «أنا خيرٌ منه» فأول من قالها -فيما أعلم- إبليس، عندما أمره الله أن يسجد لآدم عليه السلام، فقال كما أخبر الله عنه: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢.

فكان عاقبة قوله، والعياذ بالله، الخلود الدائم في عذاب السعير، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد أخبر الله عن قوم نوح أنهم قالوا كلمة في معناها لنوح، فقال تعالى: ﴿ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ الشعراء: ١١١.

و أخبر الله عن صاحب الجنة أنه قال كلمة في معناها، فقال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الكهف: ٣٤ .

ويكفي في قبح هذه الكلمة أن أول من قالها إبليس، ومن قبحها أيضاً أنها عنوان للغرور والإعجاب بالنفس؛ ودليل على سوء الظن بالآخرين، كما أن هذه الكلمة تقعد بصاحبها عن طلب المكرمات، فهو يظن أنه خيرٌ من غيره، فيورثه ذلك كسلاً عن طلب الخيرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القاعدة الثامنة :

مهما رأيت من مسلم شراً فاعلم أن في قلبه خيراً كثيراً

تصل إلي رسائل «واتساب» وأقرأ في «تويتر» كلاماً طيباً ودعوة إلى الله ودعاء صالحاً من كثير من الإخوة.

وهذا يدل على أن المسلم فيه خير كثير، مهما كان وضعه في نظرنا ومهما أحاطت به الظنون السيئة ومهما وقع في بعض الذنوب .

لذلك كان المسلم عند الله عظيماً، وكان الله به رحيماً.

ولذلك كان الإسلام حصناً حصيناً ونوراً مبيناً وفرجاً للعبد عند ربه يوم القيامة .

فهنيئاً لكم يا أهل الإسلام إسلامكم .

وليس أشد على الشيطان من قلب المسلم؛ فهو يخطط عليه ويكيد له ويوقعه في أنواع من الذنوب، وفي لحظة يستيقظ هذا القلب المثقل بالذنوب والمحاط بالهموم المتعب من أعباء الدنيا، فيلتفت يميناً ويلتفت شمالاً فلا يرى فرجاً إلا فرج ربه، ولا خيراً إلا من ربه، ويتألم على تفريطه في لحظات عمره، فيخر ساجداً ويعود تائباً ويفتح صفحة جديدةً مع ربه ينكسر فيها الشيطان.

فإن عاد الشيطان إلى الوسوسة والإغراء والإغواء ووقع العبد في الذنب مرة أخرى لم يلبث أن يعود إلى التوبة مرة أخرى، ولا يمل الله حتى يمل العبد .

قد تعرف صديقاً أو قريباً مقصراً في بعض الجوانب، لكن تعال وانظر وتأمل فيما يكتب وفيما يرسل .

ستجد فيما يُرسله دعوة إلى التوبة، وأخرى للمحافظة على الصلاة، وثالثة في فضل البر، ورابعة في الأمر بلزوم جماعة المسلمين .

مع الإعلام الحديث الذي أراد بعض دعاته أن يكون معول هدم جعله كثير من أبناء المسلمين –والحمدلله - أداة بناء .

فلا يمر يوم على أحدهم إلا وهو يدعو إلى خير، ويرسل من جهازه ما ينفع الناس ويرفعه الله به عنده، سواء أكان ناقلاً أم معداً.

أراد الشيطان أن يتعبهم فأتعبوه، وسعى ليحبطهم فأحبطوه .

لا أخفيكم سراً أني أحرص حرصاً كبيراً على قراءة ومشاهدة واستماع ما يرسل بعضهم؛ لجودة ما ينتقون وعنايتهم بما يرسلون .

لقد أفادني الإعلام الحديث حسن الظن بالمسلمين، وأظهر لي طهارة قلب المسلم مهما أذنب أو أخطأ.

لقد أفادني أن كل مسلم يحب دينه ويسعى لنصرته ولو مر به سُبات عميق فسوف يستيقظ في ساعة ما.

لذلك فمن المهم جداً تحصينه من اعتناق أفكار التكفير والتفجير وإخراجه من وحل الشهوات بأنواعها .

وعند ذلك سيعود يوماً وسيعرف الطريق.

ومن المهم جداً تعليمه وتربيته على إجلال العلماء الصادقين ليرجع إليهم ويستفيد منهم وينهل من معين علمهم إذا حاد به السير يوماً ما .

فمن يحاول إسقاط مكانة العلماء هو عدو للأمة لأنه لا يريد للأمة أن ترجع إليهم في الأحوال العادية وعند اختلاف الموازين.

العلماء حصن حصين حق علينا إكرامهم وإجلالهم ورد الأمر الشرعي إليهم .

ومن المهم جدا تربيته على المحافظة على بلده وأهل بلده وجميع بلدان المسلمين فلا يكون سيفاً للأعداء به يقتلون ولا فكراً لهم به يهدمون ولا قلماً لهم به يكتبون .

اللهم احفظنا بالإسلام واحفظ الإسلام لنا واجعلنا ممن أكرمتهم بحفظ دينك .

الحمد لله القائل: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ المطففين: ١، والصلاة والسلام على من تلى هذه الآية فلا تزال تتلى من بعده إلى أن يشاء الله؛أما بعد، فقد توعد الله المطففين بالويل، وبين من هم المطففين بقوله:﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ ﴾ المطففين: ٢ هذه صورة التطفيف الحسي، وهو أحد نوعي التطفيف، والنوع الثاني هو التطفيف المعنوي ؛ وهو منتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم، ويمارس بأشكال عدة،ولأسباب عدة، وتحت أقنعة مختلفة.

قال السعدي رحمه الله: «ودلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره وعقله من سفهه».

التطفيف المعنوي قد يمارسه الشخص لحظ نفسه، وقد يمارسه لحظ غيره، وهو الشقاء الحقيقي والحمق الأعظم ،قال عمر بن عبدالعزيز لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس. قالوا: رجل باع آخرته بدنياه. فقال عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا بلى، قال: «رجل باع آخرته بدنيا غيره».

والتطفيف المعنوي لم يسلم منه حتى طلاب العلم، إلا من رحم الله، فهو سرطان أخلاقي قاتل .

لا يعجز أصحاب المكاييل المطففة أن يبرروا لأنفسهم صواب خطئهم وجواز ما حُرم عليهم، بدعاوى عدة يجمعها رابط واحد؛ أنه ما أنزل الله بها من سلطان .

إن تكلموا عن أنفسهم ذكروا النقاء والصفاء والصدق والوفاء، وإن تكلموا عن غيرهم أبطلوا أعمالهم، وشككوا في نياتهم، وتتبعوا عثراتهم وعوراتهم .

شيوخهم هم العلماء، وعلماؤهم هم الشيوخ، وغيرهم همج رعاع لا يفقهون شيئاً ولا يعلمون!

ليس التطفيف المعنوي مقصوراً على العلم وأهله، بل تراه وتشاهده حتى في الدوائر الوظيفية، فهو من يهتم بأمور العمل ، وهو الذي ينظر إلى مصلحة مرجعه، أما غيره من الزملاء فليس لديه اهتمام، وإن اهتم فاهتمامه لمصلحة نفسه لا لمصلحة العمل.

وأيضاً نرى التطفيف المعنوي في المجتمعات القبلية، فنرى من يظنون أنهم هم فقط من يريدون مصلحة القبيلة ويعرفون أمور العشيرة، ويصفون غيرهم دائماً بعدم الاهتمام والمبالاة، والسعي للتفرقة لا للجمع.

وأكبر من ذلك نرى التطفيف المعنوي عند أناس يرون الوطن لهم وحدهم وكأنهم وكلاء على غيرهم، وكأن جميع أبناء الوطن الآخرين لا يهتمون له ولا يبالون به.

وأشد من ذلك مرارة وإثماً من أقاموا أنفسهم يتكلمون باسم الإسلام، ولم يكفهم ذلك، بل يريدون من غيرهم من أبناء الإسلام ألا يتكلموا باسم الإسلام، وليتهم وجهوا هذه الرسالة إلى أنفسهم .

إن العداوة الدينية، وليس في الوجود عداوة أحق منها، لم يجعلها الله سبباً لعدم العدل، بل أمر سبحانه بالعدل حتى مع وجودها، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨.

وهذه الآية الكريمة تفسر تفسيراً واضحاً جلياً سبباً من أسباب ابتعادنا، إلا من رحم الله، عن التقوى ؛ألا وهو عدم العدل، الذي من صوره التطفيف المعنوي.فالله المستعان .

ليس ما قلته عاماً في الأمة، بل في أمة الإسلام اليوم وفي كل عصر بفضل الله والحمد له من يوفون المكاييل الحسية والمعنوية، من تحجزهم التقوى ومراقبة الله عن أن يقولوا قول تطفيف، من يقرؤون بقلوبهم قبل أبصارهم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» .

ما أزكى تلك النفوس التي إن سمعتها تتكلم عن أعدائها ظننت أنها تتكلم عن أحب حبيب؛ وما ذاك إلا عدل وصدق وديانة وأمانة .

إنها مسألة خطرة وعظيمة نحتاج أن نُدرب أنفسنا عليها، (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

عود نفسك أن تبتعد عن بخس الناس حقهم الحسي والمعنوي؛ وستجد ذلك مؤلماً صعباً في البدايات، حتى يكون ذلك لك مع الأيام سجية وخُلقاً.

نحن بشر لنا مشاعر وأحاسيس وأفكار وآمال،ما يجعلنا نختلف لاختلاف هذه الآمال والأفكار والمشاعر والأحاسيس ، ثم في أحيان كثيرة نتخاصم، ثم - وللأسف الشديد - نتقاطع ونتهاجر إلا من رحم الله. ومن المؤسف حقاً أن التهاجر والتقاطع وعدم الارتياح الشخصي صار علامة مسجلة بين الأقارب، إلا من رحم الله! والشيطان له تركيز وعمل متخصص في التحريش في جزيرة العرب، ففي الحديث: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، لكن بالتحريش بينهم». عموماً لن أطيل في أسباب التهاجر، لكن كيف نعالج هذه المشكلة؟!

جاء في الحديث: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم».

فإذا كان التحابّ والتوادّ سبباً لدخول الجنة؛ فلا شك أن التقاطع والتهاجر مانع من دخولها .

ولا يخفى عليكم حديث: «الرجل الذي كان يداين الناس ويقول لفتاه إذا لقيت معسراً فتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز الله عنه» .

فمن تجاوز عن الناس تجاوز الله عنه؛ ومن عفا عن الناس عفا الله عنه .

قد تكون أنت المظلوم، وأنت صاحب الحق،وقد تكون أنت من وقع عليه الخطأ وليس منه .

لكن كن أنت خيراً من أخيك: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

أرحام قُطعت، وصداقات ماتت، وجيران لا يلقي بعضهم السلام على بعض .

من أجل ماذا؟!

إذا أردنا الاستفادة من هذه القاعدة فلنقم بالتالي :

١- تصفية قلوبنا وتطهيرها، والعفو والصفح في ثنايا صدورنا، فاللهم إني أشهدك أني قد عفوت عن جميع من ظلمني أو أخطأ في حقي عامداً أو جاهلاً.

٢- المبادرة بالسلام والزيارة والاعتذار، وتقريب وجهات النظر.

قد تكون المبادرة بالعفو والمسامحة ثقيلة على النفس،وخصوصاً إذا لم يقع الخطأ منك.

لكنها صعبة فقط بالنظر إلى موازين أهل الأرض ؛ أما من تعامل مع الله فالوضع يختلف تماماً.

وتذكر يا أخي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الإنسان: ٩.

فقل: إنما نصالحكم ونسامحكم لوجه الله.

ليس عيباً أن نتعلم من أطفالنا، ومن تأمل في تصرفات الأطفال وجد أن الطفل يملك من مهارات الحياة ما لا يملكه الكبير، ويستمتع بحياته استمتاعاً لا يحلم كثير من الكبار بأن يعيش جزءاً منه فقط .

فتعال أخي الكريم لنتعلم من مهارات الأطفال :

فالأطفال رغم كثرة البكاء لا يتوقفون عن المحاولة، والعجيب أنهم يحققون أهدافهم دائماً؛ فهم يركزون فقط على ما يريدون وليس على ما يحول بينهم وبين تحقيق أهدافهم .

هم يتجاهلون حجم الصعوبات التي تعترضهم.

فتجاهل حجم الصعوبات التي تقابلك، قد يكون مفيداً لك أحياناً في جعلك تستطيع تجاوزها .

وتكرار المحاولة يجعل نسبة النجاح في كل محاولة جديدة ترتفع إلى الأعلى .

كثير من الناس يتوقفون عن المحاولة ويستسلمون عندما لا يكون بينهم وبين تحقيق أهدافهم إلا محاولة واحدة فقط .

والطفل ينسى إخفاقاته السابقة، بل وينسى أحياناً كل الآلام التي أصابته بسبب محاولته .

فتعلم منه هذه الميزة الإيجابية؛ لأن كثيراً من الكبار يصبح ويمسي على ذكرى إخفاقاته وفشله.

والطفل ينسيه إحسانك إليه إساءتك السابقة إليه، وبعض الكبار تكفيه ليشطب تاريخك معه إساءة واحدة فقط.

والطفل عندما يسامح يسامح حقيقة؛ فلا يبقى في قلبه غل ولا حقد، وبعضهم يصافحك ويقابلك بابتسامة وقلبه يغلي عليك حقداً .

والطفل يحاول أن يتأقلم بحسب المكان الذي يكون فيه، وأنت أيضاً حاول أن تتأقلم مع ظروف حياتك كافة.

والطفل يمتلك ابتسامة ساحرة تملك القلوب وهو لم يُحسن الكلام بعد! فما رأيك أن ترسم على محياك مثل تلك الابتسامة الرائعة؟

والطفل لا يتكلف في حياته، بل يعيش بطبيعته، فما أجمل أن ننبذ التكلف ونعيش البساطة.

والطفل يحاول أن يكتشف الحياة من حوله، ونحن في حاجة إلى اكتشاف الحياة من حولنا وتعلم الجديد والمفيد وتطوير أنفسنا.

والطفل يثق بمن حوله ثقة عمياء، ونحن في حاجة إلى إعطاء من حولنا مزيداً من الثقة.

والطفل يرى أنه الأفضل دائماً، ونحن في حاجة إلى الرضا بما نحن فيه والتطلع إلى الأفضل والسعي إليه .

والطفل أجبن ما يكون عندما يتيقن أن الأمور لا تسير في مصلحته،ونحن في حاجة إلى الإحجام عندما تكون الأمور لا تسير وفق تطلعاتنا .

فليست الشجاعة الإقدام دائماً، حتى قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص: أعياني ياعمرو أن أعرف أشجاع أنت أم جبان؟ قال عمرو: إن كانت الفرصة لي أقدمت وإن لم تكن لي أحجمت!

والطفل يلح على والديه ويبكي رجاء تحقيق ما يريد، ونحن - ولله المثل الأعلى - في حاجة إلى أن نبكي بين يدي الله سبحانه ونلح عليه فيما نريد.

والحق يقال؛ إن المهارات الحياتية التي يحسنها الأطفال كثيرة،ولكن أكتفي بما ذكرت، وأسأل الله أن يكون نافعاً لي ولكم ولجميع المسلمين .

إذا رأيت من يمكر بالإسلام أو بالمسلمين أو بك في خاصة نفسك فتذكر هذه الآية ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ فاطر: ٤٣.
فإنها لم تُنزل لتتلى فقط؛ بل نزلت تحذيراً لأهل المكر السيئ، وبرداً وسلاماً على كل من يُمكر به بسوء وهو بريء من السوء.
الحياة في نظر البعض غابة؛ يأكل فيها القوي الضعيف، ويستعمل صاحب الذكاء ذكاءه مكراً بغيره .

لكن ليس الأمر كذلك، بل هناك رب عليم حكيم بَشَرَ من يُمكر به من المؤمنين ببشارتين؛ الأولى:أنه هو من يتولى التعامل المباشر مع أصحاب المكر، فقال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣.
والبشارة الثانية: أن هذا المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ فاطر: ٤٣.
فلا تقلق من المكر وأهله، فقط كن في الطريق الصحيح وفي المسار المخصص لك ولا تحمل هماً لهم أبداً.

كم من مكر أرادوا إسقاطك به أو إلحاق الأذى والضرر بك، ورد الله كيد الماكر في نحره، وأنت لم تعلم عنه حتى مجرد العلم.
وكم من مكر علمت عنه وحملت همه، وإذا به يعود عليك برداً وسلاماً ورفعة ونجاة .

وكم من شخص سعى لإفساد سمعتك أو الحديث في نيتك، فلم تزدد سمعتك مع الأيام إلا علواً، ولا نيتك إلا إخلاصاً وإخباتاً.

ولعل من أكبر قصص المكر الكبار التي ذكرها الله في القرآن مكر فرعون، ثم ماذا؟

ثم لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

قتل أطفال بني إسرائيل خوفاً من موسى، فربى موسى في بيته وأمام عينيه.

وأراد قتله بعد ذلك، فكان غرقه وموته بسبب موسى .

سعى ليقتل موسى فكان حتفه وهو يلهث خلف موسى يتوعد ويهدد!

ثم هذا أبو جهل خطط لقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج لبدر مزمجراً، فرُمي في قليب بدر بسبب معاندته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن العجب تمالُؤ أهل المكر السيئ عليه لأغراض فاسدة منشؤها الحسد والكبر!

فقد يمكر أصحاب صنعة بأحدهم لتميزه عليهم، أو لتمسكه بمبادئ لا يريدونها.

وقد يمكر مجموعة من الكتاب بكاتب، أو مجموعة من الشعراء بشاعر، أو مجموعة من زملاء العمل بزميل لهم .

فاطمئن يا من يُمكر به غاية الطمأنينة، سيعود المكر السيئ على أهله، ومن أصدق من الله قيلاً؟!

ثم أنت يا من تمكر مكراً سيئاً، هل غاب عنك علم الله بك واطلاعه عليك؟

تخطط وتكيد وتدبر، والله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء!

وإذا أصاب أخاك المسلم أذىً أو ضرر فهل ستفرح؟

وكيف ستكون حالك إذا رفع يديه يدعو ليل نهار على من مكر به؟

خاتمة:

مجازاة أهل المكر السيئ بمكر مثل مكرهم لا يدخل في المكر السيئ فهو مجازاة لهم بمثل أعمالهم وكف لشرهم وأذاهم.

موسى وهارون عليهما السلام من رسل الله، ومع هذا غضب موسى من هارون لعدم اتباعه له يوم ضل بنو إسرائيل، فقال موسى، كما قص الله ذلك عنه: ﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ - ٩٣.

فتأمل بماذا اعتذر هارون: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤.

هذا هو السبب؛إذ خشي أن يكون اتباعه له مما لا يريده موسى؛ لأنه سيتبعه ناس ويبقى آخرون، فيكون فيه تفريق لبني إسرائيل.

فلما جر موسى برأس أخيه إليه قال هارون لأخيه مذكراً له بقضية مهمة: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥..

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل بعض المنافقين كي لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

ولاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى مصالح عظيمة في هذا، منها اتقاء شماتة الأعداء .

وفي الدعاء الثابت: «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء».

وفي دعاء آخر: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً واحفظني بالإسلام قاعداً ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً».

وتذكر قول أيوب عليه السلام حين سئل: أي شيء كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء .

فتقاتُل المسلمين سيُفرح من ؟

وتناحر بعض الدعاة سُيسعد من ؟

ومشكلات أبناء الوطن تصب في مصلحة من ؟

وتهاجر الأشقاء وطلاق الرجل زوجته أو شقاؤه في حياته الأسرية والوظيفية من الذي يريده؟

كل ذلك لن يحدث إلا مقترناً وممزوجاً بشماتة الأعداء .

وكما يحاول الإنسان ألا يشمت به أعداؤه في الدنيا فليحذر أن يشمت به العدو اللدود (الشيطان الرجيم) يوم القيامة، فإن له موقفاً مشهوداً في الشماتة بأوليائه يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٢.

فيا خسارة من يوجه إليه الشيطان هذا الخطاب يوم القيامة!

خاتمة: سألت نفسي على استحياء، وأنا أكتب هذه القاعدة: هل يشمت بنا أعدؤانا الحقيقيون اليوم؟!

فتلعثمت في الجواب، فأجابتني جراح أمتنا الغائرة قائلة: لم يشمت بي الأعداء في تاريخي كله كشماتتهم بي اليوم.

فاللهم يارب العالمين، ارفع عنا شماتة الأعداء بنا، ورد كيدهم في نحورهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.


المجموعة الرابعة:
قواعد
تربوية
عامة

عنوان القاعدة مخالف لما اعتدنا سماعه والتحدث عنه من أنواع الاستثمار، فقد سمعنا وتحدث الناس عن أنواع عدة من الاستثمار، منها :

١/ الاستثمار في نفسك.

٢ / الاستثمار في أولادك.

٣/ الاستثمار في مالك.

وكلها من أنواع الاستثمار المفيدة؛ لكن هناك نوع عظيم واستثمار حقيقي عوائده مضمونة ومتحققة لا تتخلف أبداً،وهي ممتدة في الدنيا والآخرة؛ وذلك هو الاستثمار في الوالدين.

الاستثمار في الوالدين يعني أن تصرف عليهما من الوقت والمال والمحبة وحسن الخلق أضعاف أضعاف ما تصرفه على غيرهما من أهل وولد وصاحب وقريب وزميل.

ويعني هذا الاستثمار أيضاً أن تغتنم لحظات عمرهما كما تغتنم أعظم الفرص التجارية التي تعرض عليك وينافسك عليها غيرك وتريد أن تسبقه للفوز بها.

ويعني هذا الاستثمار أن تصبر على ما لا يعجبك منهما صبر من يعمل مع تاجر يعطيه راتباً لا يجده عند غيره أبداً ولكنه يعامله باستعلاء عليه.

ويعني هذا الاستثمار أن تحب ما يحبان وتثني عليه كثناء طفل متعلق بأبيه على كل ما يُنسب لأبيه.

ويعني هذا الاستثمار أيضاً أن يكون كل فعل تفعله لهما إنما تريد

وجه الله.

ومن رحمة الله أن هذا الاستثمار لا يتوقف على حياة الوالدين؛ بل تستطيع مواصلة هذا الاستثمار حتى بعد وفاتهما.

ومن تأمل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رأى كيف كان الاهتمام العظيم بالحث على بر الوالدين واغتنامه وتعظيم شأنه والتحذير من العقوق وتحريمه وتجريمه، وفي ذلك بيان لأهمية الاستثمار في الوالدين.

ذكر الله أمثلة عظيمة للأخوّة في كتابه منها:

الأول: مثل ابني آدم؛ قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المائدة: ٣.فأي ألم يقع في النفس عندما تنتهي علاقة الأخوة بالقتل؟!

والثاني : مثل حسد وبغي، وهو حال إخوة يوسف مع يوسف حتى كادوا أن يقتلوه،قال تعالى عنهم : ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ يوسف: ٩ .

والمثال الثالث : لموسى كليم الرحمن، الذي لما أكرمه الله بالرسالة ذكر أخاه وطمع له في الوزارة، فسأل الله فأعطاه سؤله وجعل أخاه وزيراً له ورسولاً نبياً؛ قال تعالى عن موسى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾ طه: ٢٩ - ٣.

قابلت شخصاً أعرفه ، فسألته عن أخيه فلان . قال: والله ماقابلته منذ ستة أشهر .

كان وقع الجواب علي كوقع الصاعقة.

صغرت الدنيا كلها في عيني ! لماذا كل هذا الجفاء ؟

ومن أجل ماذا هذا التقاطع والتهاجر ؟

وهل تظن أن كلاً منهما يعيش في مدينة أخرى؟ بل لا يبعد بيت أحدهما عن الآخر عشرة كيلو مترات!

بدأت أتفكر في حاله وفي حال كثيرين من الإخوة الذين يعيشون مثل حال هؤلاء، وإن لم يصلوا إلى مرحلة التقاطع والتهاجر .

علاقة أخوية بدون روح وبدون نكهة، فتور قاتل ومميت، ورحم مقطوعة من الود والصدق، وإن لم تقطع من الوصل والمداهنة.

بدأت استعرض الأسباب التي قد تقطع روح الأخوة .

فقلت هل ابتعد الأخ عن أخيه لأنه مقصر في دينه مضيع لصلاته آكل للحرام ؟

نعم يوجد من ابتعدوا لهذه الأسباب، لكنهم نسبة بسيطة لا تكاد تُذكر، ويدخل فيهم من ابتعد عن أخيه لترويجه المخدرات أو تعاطيه لها!

أما الغالبية العظمى فتقاطعهم وتهاجرهم لأسباب أربعة لا خامس لها:

١- **الحسد:** وذلك بأن يُفضل الله أحدهما على الآخر بنعم معينة، فيُشعل الشيطان نار الحسد في قلب الآخر حتى يصل إلى مرحلة يكره فيها مجرد سماع اسم أخيه.

بل وصل إلى القتل، كما في قصة ابني آدم، وكاد يصل إليه كما في قصة إخوة يوسف.

وللحسد وجه آخر، وذلك عندما يُحسد الإخوة من الناس على اجتماعهم وترابطهم، وهذا يُدفع بالدعاء والتحصن بالأذكار الشرعية.

٢- **الأموال :** وذلك غالباً في أموال الميراث أو الشراكات بين الإخوة، وعلاج هذا الأمر بتقوى الله وتحري الحق والابتعاد عما ليس لك، والعلم بأن ظلم ذوي القربى أعظم ذنباً وأشد إثماً، والعلم بأن الدنيا فانية لا تبقى لأحد ولا يبقى لها أحد.

٣- **الزوجات**: زوجات الإخوة، إلا من رحم الله، يكون لهن دور في إشعال فتيل الحرب بين الإخوة، مستخدمات سلاح «قالوا لأولادك» أو «فعلوا بأولادك» أو «هذا لنا وهذا لهم».

والتعامل مع الزوجة في هذا الجانب ليس صعباً؛ بل على الزوج أن يُبين لها عدم تدخلها فيما بينه وبين إخوانه بتاتاً إلا بخير.

وعلى الزوجة أن تلزم حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع الحرج: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**.

ثم أنت أيها الزوج، ألا ترى حرص زوجتك على أن تجعلك تكرم إخوانها؛ فهل هي أكرم منك؛ أم هل إخوانها أغلى عندك من إخوانك؟

أكرم إخوان زوجتك، فهذا من شيم الرجال، ولكن كن لإخوانك أكثر إكراماً.

ورحم الله زوجة تحث زوجها على وصل إخوانه، وهن كثر والحمد لله.

ولزوجات الأب أمهات الإخوة - عندما يكون للرجل أكثر من زوجة - سبب لا يخفى في خلاف الأولاد، فعليهن أن يتقين الله ويراقبنه في أفعالهن وأقوالهن.

٤- **الأولاد**: وفي هذا السبب نوع تنافس خفي؛ بأن يريد كل منهما أن يكون أولاده هم الأفضل.

أو يغضب لأولاده سواء من أخيه أم من أولاده.

والرجل العاقل يتمنى أن يكون أولاده وأولاد أخيه كلهم

ممتازا، فما الحرج في ذلك؟ ويقف موقف الأب من جميع الأولاد؛ فلا يحابي أولاده على حساب أولاد أخيه؛بل يعاملهم كلهم بالعدل .

وأنت عندما تختلف مع أخيك من أجل أولادك فكيف تظن أن يكون أولادك غداً.

تأكد أنهم سيختلفون مثلكما تماماً أو أشد؛فهم سيفعلون غداً ما تفعله أنت اليوم.

خاتمة:

علاقة الإخوة علاقة عظيمة تقوم على المودة ويحفظها الاحترام والتقدير .

فإذا ذهب الاحترام والتقدير ماتت المودة،فكونوا لإخوانكم كموسى لأخيه .

ومن كان بينه وبين أخيه شيء فليبدأ صفحة جديدة مع إخوانه، ولتكن صفحة بينة الحدود واضحة المعالم تقوم على الصراحة والصدق .

ولا تحول أي اختلاف في وجهة النظر إلى خلاف.فكل شخص له رأيه وعقله وتفكيره، وقد اختلف العلماء وهم أرجح الناس عقولاً وأكثرهم حكمة؛ لكنهم لم يحولوا اختلافاتهم إلى خلافات.

للمرأة، والزوجة خصوصاً، تأثير كبير في حياة الرجل ؛ ولا أظن أن أحداً ينكر هذا التأثير.

فالمرأة في حياة زوجها إما أن تكون معينة له على الخير وعلى النجاح وعلى تحقيق أهدافه السامية، بل قد تصنع له تلك الأهداف وتسير معه، وإن صح القول تسير به أيضاً إلى معالي الأمور.

المرأة الصالحة هي خط الدفاع الأول الذي إذا انهار أو تزعزع أثر ذلك في حياة الزوج.

وقد تكون المرأة معيقة لزوجها عن الخير وعن النجاح والتقدم.

وكون المرأة مُعينة أو مُعيقة ليس بدعاً من القول، بل تاريخ البشرية حافل بالنماذج الكثيرة والعظيمة على الصورتين.

دعونا نسأل أنفسنا: ما هو الأثر الذي تركته كلمات هاجر أم إسماعيل في نفس الخليل إبراهيم عليهما السلام عندما ترك زوجه وولده في مكة وذهب، **فنادته هاجر: لمن تتركنا في هذا الوادي؟ فلم يجب، ثم قالت :آلله أمرك بهذا؟**

قال: نعم.

قالت: إذاً لا يضيعنا!

لا شك أن هذه الكلمات تحدث في أنفسنا نحن اليوم أكبر أثر؛ فكيف كان أثرها على قلب خليل الرحمن في اللحظة التي قيلت فيها!

وخليل الرحمن يعلم تأثير المرأة في حياة زوجها؛ فلما زار ابنه في

المرة الأولى ولم يعجبه ما قالت زوجه؛ قال لها موصياً لإسماعيل: «غيِّر عتبة بابك».

فلما عاد الابن وسأل زوجه فأخبرته؛ قال هذا أبي وقد أمرني بفراقك!

فلما رجع إبراهيم الخليل في الزيارة الثانية أوصى لابنه، لكن بوصية مختلفة؛ فقد أوصاه «بتثبيت عتبة بابه».

فقال إسماعيل لزوجه: هذا أبي، وقد أمرني بإمساكك.

وتأمل ذلك الأثر الذي تركته أمنا خديجة رضي الله عنها في نفس المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم عاد إلى بيته قائلاً لها: لقد خشيت على نفسي. فنطقت في الوهلة الأولى بما يعجز عنه الخطباء والشعراء والحكماء،بل وقفت كالجبل الأشم وصرخت كالأسد قائلة: «كَلا، أَبْشِرْ، فَوَالله لا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، وَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

وليس كون المرأة مُعينة خاصاً بزوجات الرسل، فهذه أم الدحداح تبارك لزوجها أبا الدحداح وقد جعل حائطه ونخله صدقة لله تعالى« ربح البيع أبا الدحداح».

لذلك قالوا: «وراء كل رجل عظيم امرأة».

وأما الزوجة المعيقة، فمن زوجات الرسل زوجة نوح وزوجة لوط، ومن الناس زوج أبي لهب، وغيرهن كثير.

ولا نزال حتى يومنا هذا نسمع أخبار الزوجات المعينات والمعيقات.

فلا تظن الزوجة أنها تعيش على هامش حياة زوجها؛ بل إن لها

أكبر التأثير فيه وإن لم تشعر بذلك .

فوصيتي للزوجة أن تكون مُعينة لزوجها لا مُعيقة له، لتجسد حياتها من أجل زوجها، وهي بذلك مأجورة مشكورة؛ ففي الحديث: «هو جنتك ونارك».

الزوج ليس في حاجة إلى زيادة منغصات في هذا الزمان بقدر ما يحتاج إلى زوجة تعرف متى تتكلم معه ومتى تصمت ولا تتكلم، تعرف سرور زوجها من غضبه وما يريده مما لا يريده .

لذلك كان التوجيه النبوي لمن أراد الزواج أن يظفر بالمُعينة؛ فقال صلى الله عليه وسلم :«تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

والإعانة والإعاقة في حياة شريك الحياة ليست خاصة بالزوجة؛بل على الزوج أن يكون معيناً لزوجته مشاركاً لها، موجهاً لها، فرحاً بإنجازاتها.

«ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً».

هؤلاء الأطفال، ذكوراً وإناثاً، الذين يعيشون معنا في بيوتنا؛ أقصد أولادنا!

هم غداً سيكونون كباراً، لكن هل فكرت يوماً أو تأملت - ولو دقائق - كيف ستكون حالهم غداً؟

قد تقول: الله أعلم، وأنا موقن بأن الله أعلم .

لكن علينا أن نعلم أن حالهم غداً متوقفة على تعاملنا معهم اليوم وحسن تربيتنا لهم .

صحيح أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، فقد يحدث العكس؛ فقد يكون ابن التقي شقياً وابن الشقي تقياً، وابن الناجح فاشلاً وابن الفاشل ناجحاً .

فخليل الرحمن إبراهيم،عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأزكى سلام، ابن عدو الرحمن وولي الأصنام آزر .

وغريق الكفر والشرك ابن ولي الرحمن وأول رسله نوح عليه السلام .

لا شك في ذلك، فإن الله «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي .»

لكن الغالب وبتوفيق الله أن البلد الطيب يخرج نباته طيباً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً .

والتربية بحر لا ساحل له، واضحة أهدافه ومختلفة طرقه ووسائله باختلاف الوالدين والأولاد، والأعراف والبيئات والتقاليد والعادات .

غايتها العظمى كما قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ التحريم: ٦.

والتربية الصالحة أول بشائرها قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾ الطور: ٢١

وأخوف خسائر عدم نجاح التربية، وأشد آلامها بينه الله بقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾ الزمر: ١٥.

وتأثير الأهل والولد فينا بينه الله بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ التغابن: ١٥.

وحذرنا سبحانه من جنوح هذه العلاقة عند فئة منهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ التغابن: ١٤.

ومكانتهم في الحياة الدنيا بينها الله بقوله: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾ الكهف: ٤٦.

وخير ما يعطيه الوالد ولده جاء مبيناً في هذا الحديث: «ما نَحل والدٌ ولدَه من نحْل أفضل من أدب حسَن». أخرجه أحمد والترمذي .

وأثرهم فينا بعد مماتنا متوقف على أثرنا فيهم خلال حياتنا؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وبعد هذه النفائس من كلام ربي وكلام نبيه ﷺ لا من كلامي اسأل نفسك أيها الأب المبارك والأم الرحيمة : ماهو مشروعكما في أولادكما؟

هم أعظم منتج لكما في الحياة!

وهم المنتج الأصلي الذي لا يقبل التقليد!

وهم من إذا دعا لهم الناس دعوا لكما معهم، وإذا دعوا عليهم دعوا عليكما معهم!

لتكن تربيتهم وصلاحهم هاجساً يبيت معكما إذا بتما ويستيقظ قبل أن تستيقظا.

لا نملك من الأمر شيئاً، إنما نبذل الأسباب متوكلين على الله؛لا نغفل عن قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦.

ابنك تتشكل شخصيته في سنين عمره الأولى .

صدقني إذا بلغ المرحلة المتوسطة يكون في مخيلته رسم لشخصيته قد لا تراه أنت، لكنك تستطيع أن تحدد من تصرفاته أين وجهته؟

وهي مرحلة يمكن فيها التعديل والتحفيز .

من يظن أن التربية تبدأ من مرحلة المراهقة لا يفقه في التربية شيئاً وإنما يظهر أثر التربية السابقة في فترة

المراهقة، وإن كان المصطلح محل نظر.

التربية ليست ردود أفعال على تصرفات الأولاد، لكن التربية مبادرات تصنع تصرفات الأولاد.

التربية لا تعني أن يكون ولدك شيئاً معيناً محدداً معروفاً سلفاً؛ وإنما تعني أن يملك ولدك مقومات معينة تمكنه من الحياة الطيبة السعيدة أينما كان قدره.

محاولة إخراج ولدك صورة طبق الأصل منك عبث تربوي مهما بلغت من النجاح والفلاح؛من أراد أن يسير على طريقك بطوعه واختياره فلا تمنعه، ومن أراد أن يكون شيئاً مختلفاً فلا تقف في طريقه.وما يدريك لعله يبلغ من المجد مالم تبلغ عشر معشاره؟

كم يحرقك الألم وأنت ترى شباباً بل وأطفالاً يغدون ويروحون بلا موجه ولا رقيب، كيف ستكون حالهم غداً؟

أعجبني يوماً قول رجل من العامة: «من أراد أن يخرج رجلاً فلا بد أن يتعب عليه».

فالتربية ليست مهمة يسيرة؛ بل هي من أشق المهمات وأطولها أمداً؛ فأولها بينها الحبيب المصطفى ﷺ بقوله كما جاء عنه: «تخيروا لنطفكم».

وآخرها رسائل من على فراش الموت، كرسالة النبي التقي يعقوب عليه السلام، كما قص الله ذلك عنه: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣٣.

تأمل حال أولادك اليوم، والخطاب للأب والأم، كيف سيكونون بعد عشر سنوات، إن شاء الله، إذا ساروا على ما هم عليه .

ثم قف وقفة حزم وصدق،وعزز فيهم من خصال الخير وطرق النجاح ما يحتاج إلى تعزيز، وعدل ما تراه من سوء يحتاج إلى تعديل، تسعد بهم في مستقبلك وتسعد بهم أمتهم.

فإننا نرى من حال البعض - عافاه الله وهدانا وإياهم - وكأن مشروعه في ولده أن يكون مدمن مخدرات أو مفحط سيارات أو جاهلاً جهلاً مركباً.

ومهما كبر ولدك، وتقدمت به السن فإن التأثير فيه ممكن وإصلاحه متاح،بل إن بعض الأولاد أحيا الله قلبه بعد موت والده يوم تذكر نصح الوالد ووعظه وتوجيهه .

لا تظهر مشكلة تربوية بحجم كبير على ولدك مباشرة،بل هي تظهر صغيرة، ثم تكبر شيئاً فشيئاً، وتبقى مهمة المربي الناجح، أباً كان أم أماً،بعلاج هذه المشكلة في مهدها وعدم تركها حتى تستفحل فيصعب علاجها .

التربية خطاب لعقل الولد حيناً، وخطاب لقلبه ومشاعره حيناً، وترك الخطاب حيناً.

وتذكر جيداً قول الشاعر :

وينشـــأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوّده أبوه

وقول الآخر :

ومن زرع الحبوب وما سقاها   تأوه نادماً يوم الحصاد

بلَغكم الله في أولادكم فوق ما تتمنون، وبلَغ أمتنا في شبابها ذروة أمجادها .

قد تتمنى شيئاً يملكه غيرك، وغيرك يتمنى شيئاً تملكه،وقد يكون ما تتمناه من حظ غيرك سبب تنغيص حياته وأنت لا تعلم.

وقد يكون ما يتمناه غيرك من حظك لست سعيداً ولا منشرحاً به .

هذه أوهام السعادة التي يعيش على ساحلها كثيرون، بل قد يموت البعض وما نال من السعادة إلا أوهامها في حظوظ الآخرين .

من حقك أن تتمنى كل خير ترغب فيه، لا أمنعك من هذا، وليس من هذا أُحذرك .

أنا فقط لا أريدك أن تتحسر على ما ليس لك، ولا أريدك أن تغفل عن لمح وجه السعادة فيما أنعم الله به عليك أنت دون غيرك .

كل ما في هذه الدنيا من حظوظ قسمة عادلة؛ لأن الذي قسمها هو العزيز الحكيم العليم الخبير، وهي ليست قسمة مبتورة لا علاقة لها بالحياة الآخرة، بل هي قسمة يمتد أثرها في الحياة الآخرة .

بمعنى أن كلاً سيحاسب على ما كان عنده وعلى نوعية تصرفه، فليس حساب الغني كحساب الفقير، وليس حساب الوجيه كحساب الوضيع .

فمن أحسنَ ممن أُعطي وتفضلَ فله من الله إحسان أعظم من

غيره، ومن قصر فله عذاب يفوق عذاب غيره.
لو قسمت مالاً بين أولادك وأنت عدل تقي مطلع على أحوالهم وتعرف من سرائرهم مالا يعرفه غيرك وتعرف من تصرفهم مالم يحط به غريب عنهم، وليس لك تعلق بهذا المال؛ بمعنى أنك غني عنه غاية الغنى ،فهل كنت ستظلم أحداً منهم بشيء؟!
ولله سبحانه المثل الأعلى، تعالى وتقدس، فأنى يُتصور في قسمته ظلم وقد حرّم الظلم على نفسه؟!
وكيف يُتصور في قسمته قصور وهو العليم الخبير؟!
وكيف يُتصور في قسمته محاباة وهو الغني بذاته عن جميع خلقه؟!
هذا المعنى العظيم تأمّله واستحضره في كل شيء؛ في قسمة الدين والتقوى والأخلاق والأموال والأولاد والعلم والجاه وفي كل قسمة .
من أُعطي فبفضل الله، ومن حُرم فبعدل الله .
وإن أُعطيت شيئاً حُرمه غيرك فاحمدالله واسأله ألاّ يكون حظك من العطاء الدنيا.
وإن حُرمت شيئاً تريده وتحبه فأسأل ربك أن لا يكون حرماناً أبدياً، فلعل الله حرمك منه في الدنيا لحكمة لا تعلمها، ثم هو في الآخرة يهبه لك .

كم تسبب تقاطع الأهداف في قطع العلاقات وتقطيع المودات والصداقات وهجر القرابات!

لكن قبل الحديث عن تقاطع الأهداف دعنا نتحدث عن تقاطع الطرقات الذي نمر به كل يوم في حياتنا العادية، وتأمل في الحركة المرورية عند تلك التقاطعات!

وكيف ستكون حال الناس لو لم يكن هناك إشارات ورجل مرور وتعليمات سلامة معينة؟

كم سيكون ذلك مزعجاً ومؤذياً لو كنت تذهب من عملك إلى بيتك وتعود في طريق كثير التقاطعات ولا توجد فيه إشارات ولا تنتظم فيه حركة المرور!

وكم هو متعب لك نفسياً منظر الحوادث اليومية على هذه التقاطعات!

ثم عُد إلى واقعك، وكيف أنك بحمدالله تعبر هذه التقاطعات يومياً، بفضل الله ثم بوجود الإشارات الضوئية وتنظيم حركة المرور، بدون وقوع ضرر جسمي أو أذى نفسي من توقع مخاطر معينة أو دخول في عراك وشجار مع هذا أو ذاك؟

تقاطع الأهداف صورة معنوية مماثلة تماماً للصورة الحسية في تقاطع الطرقات.

كل الناس لهم أهداف وطموحات، وهذه الأهداف قد تكون مشتركة عند نقطة معينة لبعض الناس مع غيرهم .

عندما نحاول تجاوز هذا التقاطع سيراً نحو أهدافنا الشخصية

دون النظر إلى الآخرين .

تقع مشكلات نفسية وتتولد عداوات وتموت صداقات وتهجر القرابات.

فما هو الحل؟

هل تتنازل عن أهدافك الشخصية من أجل عدم خسارة الآخرين؟

أم هل تسعى لهدفك دون مراعاة أو اهتمام أو نظر إلى الآخرين ؟

من يختار الخيار الأول يخسر كثيراً من طموحاته، ويتنازل مع الوقت تدريجياً عن أبسط أمنياته .

ومن يختار الخيار الثاني يخسر الأشخاص الذين قدر الله أن يكونوا معه في أحد تقاطعات الأهداف، وهؤلاء الناس قد يكون منهم الأخ أو الزوجة أو الصاحب أو الزميل .

لا فرق، فهذه المنهجية لا تفكر فيمن تخسر طالما أنه كان عائقاً عن هدف معين!

لكي تتصور مسألة تقاطع الأهداف أضرب لك مثالاً بسيطاً؛ لو طلب ترشيح موظف واحد لدورة مميزة، وتنافس كثير من الموظفين في ذلك وفاز بها أحدهم.

فإنه للأسف يبقى في نفوس بعض الموظفين شيء على هذا الموظف؛ لأنه خطف حلماً كان من الممكن أن يكون لأحدهم .

سوف تتعب كثيراً وتُتعب غيرك عندما تجعل تقاطع أهدافك في طريقها مع أهداف الآخرين سبب عداوات.

وبعد أن وضحت صورة تقاطع الأهداف أورد بعض النقاط التي تساعد أفراد المجتمع بإذن الله في تلافي الأضرار التي قد تنتج من تقاطع الأهداف :

أولاً / أن نعلم أن من حق كل واحد منا أن يسعى لكل هدف مشروع من طريق مشروع، حتى لو كان في سعيه هذا ينافسنا في هذا الهدف .

ثانياً / أن نعلم علم اليقين أنه لن ينال أحد منا من رزق غيره شيئاً أبداً، ولن يأخذ إلا ما قسمه الله، و «**كلٌ ميسر لما خُلق له** .»

ثالثاً / أن نوطن أنفسنا على المبادرة بتهنئة من كسب شيئاً كنا نسعى لتحقيقه، وأن ندعو له بظهر الغيب.

رابعاً / أن نحذر من أن تكون خسارتنا لحظ يزول ولا يدوم من حظوظ الدنيا سبباً لخسارة آخرتنا باقتراف سيئات حسد وغيبة وغيرها مما لا يُحصى عدداً.

خامساً / أن نتقي الله ونعلم أن عاقبة الظلم وخيمة، فلا نظلم شخصاً حقاً له أو نظلمه منزلة له.

سادساً / أن ننشر الثناء بالخير والحق على من يستحق ذلك، ولا ندع مجالاً لأهل النميمة والكذب وتلفيق الكلام.

سابعاً / أن نعلم أن من أعظم الأهداف نشر المحبة والأخوّة والتعاون والتسامح، فلا نغفل عنها من أجل تحقيق أهداف أقل منها أجراً وأدنى منها منزلة.

ليس هناك مقارنة بين عمر الكلمة الصالحة الخالصة وعمر قائلها أو كاتبها؛ فهي أطول منه عمراً وأكثر بقاء .

وليس ذلك لكل كلمة، وإنما للكلمة الصالحة الخالصة، فبعض الكلمات تموت من حين تقال، وبعضها تموت في نفس صاحبها، وبعضها تموت بعد عدة أيام أو شهور أو سنين، وبعضها تبقى قروناً كثيرة، وقد تبقى إلى قيام الساعة .

والمقصود ؛ لا تظن أنك تخاطب بكلمتك من يسمعك اليوم أو من يقرأ لك اليوم، بل تأكد أن الكلمة الصالحة، أياً كان نوعها وفي أي سياق كانت، سواءً أكانت قصيدة أم موعظة أم رسالة، ستبقى ولو لم يعرف الناس قائلها؛ فالله يعلم القول وقائله .

ولاشك أن المكتوب يبقى أكثر من المقول، وقد أحسن من قال :

والخط يبقى زماناً بعد صاحبه   وصاحب الخط تحت الأرض مدفون

ومع انتشار الكتابة اليوم وبلوغها الآفاق بضغطة زر تزداد الحاجة إلى الكتابة الصالحة الخالصة التي تخاطب القلوب والعقول، وتنقل العلوم والمعارف النافعة .

وكم من كتاب أو مقال كتبه عالم أو طالب علم أو داعية خير لم يُنظر إليه في زمانه ولم يُؤبه له في أوانه .

فلما مضت السنون وتوالت القرون وإذا بكتابه يجوب الآفاق ويذكر في كل مجلس ومكان .

وما ذاك إلا من آثار رحمة الله به، فالله أعلم بنفوس عباده وبما يصلحهم، فقد يكون انتشار علمه في وقته وظهور ذكره في زمنه

سبب فتنة له وشر عليه، فوقاه الله شر ذلك وحفظ له عمله وأظهره في زمان غير زمانه، فلا يضره ثناء الناس عليه لأنه لا يسمعه، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والمؤمن لا يعدم الخير، وطالب العلم قد تعرض له فوائد وفرائد وفتوحات لم تفتح لغيره ولم تتيسر لسواه، ولو كان غيره أكثر منه علماً وحكمة وفضلاً،ومن تأمل سعة خزائن الله علم أن ذلك ممكن غاية الإمكان متيسر غاية التيسير.

فلا تحرم نفسك من خير تكتبه أو علم تنشره،ولا تقل: من أنا؟!

ولكن قل: الله هدانا والله أعطانا!

وتذكر قول الله: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩.

وكم من طالب علم زهد في كتابة ما يفتح الله به عليه فما أفاد ولا استفاد.

فإن كنت تخشى من خطأ في قولك وتخاف مغبة ذلك فاعرضه قبل نشره على أهل العلم الربانيين عرض مسترشد طالب للفائدة لا عرض مستكبر متفيقه متشدق، فإن أجازوه فالحمد لله، وإن ردوه فقد استفدت العلم بخطئك.

وتأملوا كم حفظ الزمان لنا من قصائد قيلت منذ زمن بعيد جداً ولا يزال الناس يرددونها مواعظ يعظ بعضهم بعضاً بها.

بل تأملوا في حال العلماء القدامى الذين لا تكاد تذكر مسألة علمية اليوم إلا ويذكر قولهم،ثم لنسأل أنفسنا:

هل كان يظن أولئك العلماء رحمهم الله يوم كتبوا علمهم أن هذا العلم سيبقى إلى هذا الوقت وسينتشر بهذه القوة ؟

لا شك أنهم مهما توقعوا لم يتوقعوا أن يصل إلى هذا القدر؛ لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فإن لم يفتح لك في الكتابة ولو بقدر يسير فلا تظن أن نقل الخير من كلام غيرك، مع حفظ أمانة النقل، أمر هين أو عمل لا قيمة له .

بل هو والله من التجارة الرابحة مع صلاح النية، فلك مثل أجر كاتبه لا ينقص ذلك من أجره شيئاً.

ختاماً:

إن نسيت فلا تنسَ قول الحبيب المصطفى والنبي المجتبى ﷺ :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

فابحث من الآن عن سبيل تُطيل بها عمرك حتى لا تنقطع حسناتك بموتك.

وهنيئاً لعبد إذا مات ماتت سيئاته معه ولم تمت حسناته بموته.

هذه ومضات كافية ولمحات راقية من الصدر الأول للإسلام، أقف بك أخي الكريم على أنوارها وألتمس لك من نفحاتها .

فتعال معي، ثم بعد ذلك نقتبس منها درساً مهماً، لعلنا نستفيد منه في حياتنا .

جاء بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى النبي ﷺ يسألون مستنكرين فعل أحد الصحابة رضوان الله عليه.

تأملوا هذا الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ»؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» رواه البخاري ومسلم.

فما هو ظن الناس؟ أنه قد يكون مخطئاً بهذا الفعل.

وما هو الواقع؟ أن الله يحبه بسبب هذا الفعل.

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَجْنِي لَهُمْ نَخْلَةً، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهِ. قَالَ: فَضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَتَضْحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ».

فما ظن الناس؟ أن دقة ساقي ابن مسعود رضي الله عنه سبب مضحك!

وما هو الواقع؟ أن ساقيه رضي الله عنه أثقل في الميزان من جبل أحد.

ولما استُخلف أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السُّوق، وكان

يحلب للحي أغنامهم قبل الخلافة، فلمّا بُويِع قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا. فقال: «بلى لأحلبنّها لكم، وإنِّي لأرجو ألّا يغيِّرني ما دخلت فيه».

فقد ظنت هذه الجارية أن الخلافة ستغير أبا بكر ﷺ .

والواقع: أنه ﷺ أكبر من أن تغيره الخلافة.

وخرج عمر -ﷺ- في سواد الليل، فرآه طلحة - ﷺ - فذهب عمر فدخل بيتاً ثمّ دخل بيتاً آخر، فلمّا أصبح طلحة ذهب إلى هذا البيت، وإذا بعجوز عمياء مقعدة. فقال لها: ما بال هذا الرّجل يأتيك؟ قالت: إنّه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عنِّي الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟

فطلحة ﷺ لم يكن يظن أن يكون هذا فعل عمر ﷺ هذه العجوز، فلهذا لام نفسه وقال: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع؟

فخلاصة الخلاصة :

أولاً: لا تهمك ظنون الناس ولا تشغل نفسك بها، فلن يحاسب منهم أحد على فعلك ولن يطلع منهم أحد على قلبك.

واجعل اهتمامك بقلبك يفوق كل اهتمام؛ فالقلب محل نظر الرب سبحانه.

ثانياً: إياك وسوء الظن بالآخرين، فإن كنت ظاناً ولا بد فظن ظناً حسناً تؤجر عليه وتسعد نفسك به، فلم تبعث على الناس رقيباً ولست لهم حسيباً، فما لك ولهم .

وفقك الله لمرضاته وصرف عنك أسباب سخطه وعقابه .

«نعم، لا» متى نستخدمها مع أولادنا؟

وكيف نستخدمها؟

وهل نحن نقول «نعم» لمجرد الموافقة؟

وهل نحن نقول «لا» لمجرد الرفض؟

وماذا تعني «نعم، لا» لأولادنا عندما نقولها لهم؟

وهل من المناسب أن نتراجع عن «لا» بـ«نعم» وعن «نعم» بـ«لا» بعد أن نقولها؟

يطلب الولد من أبيه شيئاً بسيطاً، ويكون الأب غاضباً فيقول «لا»!يعود الطفل منكسراً متألماً، فلم يطلب شيئاً قبيحاً أو مضراً،لكنه يُذعن على مضض!

ثم في الغد يطلب الطفل الطلب نفسه من الأب، وتكون نفسيته مرتاحة، فيقول:«نعم».ومع فرح الطفل بالموافقة فإن هناك أمراً لا يستطيع تفسيره؛فأمس «لا»،واليوم «نعم»!فما هو الفرق؟

وللأسف فإن هذه الحال ليست حالاً عابرة مرت ولا تعود!

بل لا يكاد يمر يوم إلا ويقع بعض الآباء والأمهات في مثلها!

يفترض أن تكون «لا»دائماً«لا»؛لأننا لا نقولها إلا عندما لا نستطيع أن نقول «نعم»،فنحن نقول «لا».

وينبغي أن تكون «لا»معللة بما فيه ضرر ديني أو دنيوي أو تعدي على حقوق الآخرين أو فيه تربية على دنو الهمة .

ولو كنا نسير على هذا المنهج لعرف أولادنا موقع «لا»من الإعراب، ومتى تستخدم في الجملة.

حتى يصبح الولد يقول لنفسه «لا» في الوقت والظرف المناسب .
أما «لا» التي لا تُبنى على أي معيار، وإنما يحددها الوضع النفسي لقائلها، فهي مِعول هدم لأسس التربية الصحيحة .
و«لا» القوية على قلوب الصغار الضعيفة على أرض الواقع ومناهج التربية، التي يطلقها أب أو أم فقط لإحكام السيطرة على الرعية دون أية فائدة تُجنى من خلفها، هي في الحقيقة أداة حادة لتشتت الأسرة مشاعرياً وإن اجتمعت جسدياً .
و«لا» المتسرعة التي ننطقها قبل أن يتم صغارنا كلامهم هي تحطيم للقلوب الحالمة الصغيرة،ينشأ أولادنا بعد هذا على أن «لا» لا يحددها الصواب والخطأ وإنما يحددها «القوي والمتحكم فقط».
ينشأ أولادنا بعد هذا على أن «لا» لا تحددها القيم والمبادئ وإنما يحددها الوضع النفسي لنا وقبولنا للطرف الآخر فقط .
وينشأ أولادنا بعد هذا على محاولة كسر «لا» المتغطرسة التي تحد من حرياتهم، فعندما يملكون القوة الكافية لتجاوز «لا» يسارعون إلى ذلك، ومن هنا نلمح تفسيراً لجنوح كثير من المراهقين ومعاناة الوالدين .
صحيح أنها ليست السبب الوحيد، لكنها أحد الأسباب المهمة في ذلك.
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، تذكروا هذا الحديث جيداً.
«لا» التي تحطم نفوس الأطفال صغاراً هي نفسها التي تحبطهم عن الإنجاز كباراً.

أنا لا أقول قل «نعم» دائماً ولكل شيء يطلبه أولادك، لكني أقول لا تقل «لا» إلا عندما تكون هي الخيار الأنسب والحل الأنجح.

قلّب بصرك فيمن حولك، بل وفي العالم الإسلامي أجمع، لترى تلك الطفولة المعذبة، تأمل في تلك الأجساد الصغيرة التي حطمتها أغلال «لا».

لم يقل ﷺ «لا» لأمامة، بل حملها وهو يصلي!

ولم يقل ﷺ «لا» للحسن أو للحسين وهما يصعدان على ظهره وهو ساجد.

فترفق أيها الأب الكريم، ورفقاً أيتها الأم الرحيمة، فليس الحزم في التربية «لا»، بل قد تكون والعياذ بالله هي الهدم للتربية.

مسكين هذا الطفل ومغلوب على أمره، فلا تعذبوه بـ «لا» دائماً، وارحموه منها قدر الاستطاعة.

الخوف جبلة في الإنسان، لكنه الخوف المقدر بقدره،ليس الخوف الزائد على الحد،وليس الخوف المصاحب في كل أمر، وليس الخوف من كل أحد.

خوف يمنعك من المعاصي هو خوف محمود.

لكن خوفاً يمنعك من فرصة وظيفية أو تجربة تجارية خوفا غير محمود إذا لم يكن له ما يبرره.

تقول الدراسات: أكثر الأمور التي نخافها لا تقع، وحتى عندما تقع فإنها لا تقع في الشكل الذي توقعناه.

أي قرار تريد اتخاذه يحيط بك الخوف من جميع جوانبه،يؤجج في نفسك الشيطان عندما يكون ذلك القرار في سبيل خير أو في منفعة لك في دينك أو دنياك.

يخوفك حيناً أولياءه؛كما أخبر الله سبحانه عنه: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٥ .

ويخوفك حيناً الموت، حتى تترك السير في طريق معين، مع أن هذا الموت إذا وقع لن ينفع الفرار منه؛قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الجمعة: ٨ .

فلن ينفع الفرار من الموت أبداً؛ فإنه إذا كان حينه وقع.

ذكرنا ما تقوله الدراسات عن وقوع ما نخاف، وكذلك واقعنا الشخصي يقول: إن كثيراً من الأمور التي كنا نخافها لم تقع،

ولكنه للأسف يقول كم ضيعنا من فرص بسبب هذا الخوف.

وفي الحديث: كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة.

قال ابن حجر رحمه الله: «وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال».

فأي خوف من وقوع أمر مكروه بغير سبب محقق هو من الطيرة، والطيرة يكرهها النبي صلى الله عليه وسلم.

استشر ثم استخر ثم اعزم وتوكل،فما لك وللمخاوف بعد هذا؟

خفت من أمر فلم تقدم عليه،فلم يقع ما تخافه ولم تحقق ما أردت، ولو كان في قدر الله أن يقع عليك ما كنت تخافه من الإقبال على هذا الأمر لأقدمت عليه رغماً عنك.

أنا لا أدعوك إلى عدم الخوف مطلقاً، أو إهمال ما تخافه مطلقاً.

ولكن أدعوك إلى عدم الخوف الدائم، وإهمال كل خوف غير مبرر.

القاعدة الحادية عشرة

التعبير عن النجاح والفشل غالباً غير دقيق فلا تقلق من ذلك

ما هو النجاح ؟

وما هو الفشل ؟

وهل النجاح مقتصر على جانب واحد من جوانب حياتنا؟

وهل النجاح في أن تأتي بما لم تأت به الأوائل، وأن ما ليس فريداً ولا كبيراً لا يعتبر نجاحاً؟

وهل كل ناجح نعرفه ونراه هو ناجح في كل شؤون حياته ؟

وهل وصف الإنسان نفسه أو وصف غيره إياه بالفشل يعتبر دقيقاً ؟

وهل إخفاق ولدك في جانب من الجوانب كافٍ لوصفه بالفشل ؟

وهل للنجاحات الصغيرة المتكررة اليومية علاقة بتحقيق النجاحات الكبرى العظيمة ؟

وهل الحكم بالفشل حكم مميز لا يمكن نقضه ولا تغييره ؟

أسئلة كثيرة عن الفشل والنجاح !

وأسئلة كثيرة عن الناجح والفاشل !

نرى طائفة كبيرة من الناس تعيش الإحباط بسبب إيمانها بفشلها واقتناعها بعدم نجاحها!

بل وكثير من الآباء والأمهات كرهوا حتى مجرد الحديث مع أولادهم، لتوهمهم بأنهم أشخاص فاشلون.

ولو نظرنا بتجرد وبفصل بين الجزئيات لأدركنا أن فشل أحدنا لا يعدو أن يكون فشلاً جزئياً.وأن النجاح أمر نسبي.

فبعض الناس - مثلاً- ناجح علمياً، لكنه على المستوى الأسري دون المأمول .

وبعض الناس ناجح أسرياً، لكنه في المجال الوظيفي دون المأمول .

وبعض الأولاد بَرٌّ بوالديه مُضيع لدروسه .

صحيح هناك من يحقق النجاح على جميع المستويات؛لكن علينا أن نعترف ونقر بأن هذه النوعية قليلة ونادرة جداً.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة».

لماذا نجعل فشلنا أو فشل أولادنا وطلابنا في جانب يقودنا ويقودهم إلى الفشل في الجوانب الأخرى ؟

ولماذا لا نجعل نجاحنا أو نجاح أولادنا وطلابنا في جانب يقودنا ويقودهم إلى النجاح في الجوانب الأخرى ؟

هل الفشل الجزئي يحتاج إلى حسن إدارة وحكمة في التعامل كي لا يتحول إلى فشل كلي ذريع ؟

وهل النجاح الجزئي يحتاج إلى حسن إدارة وحكمة في التعامل ليستمر ويمتد ليصل إلى جوانب أخرى .

والفشل الكلي - من وجهة نظري - أن يكون الإنسان غير صالح لأي عمل ولا يؤدي أي دور.

والحق يقال؛ إنه لا يمكن أن يكون المسلم فاشلاً فشلاً كلياً مهما كان سلبياً، فلا بد أن يقوم المسلم بما يخرجه من دائرة الفشل الكلي .

إذا استقر ذلك في أذهاننا فما هو المطلوب منا إذاً ؟

المطلوب منا يتضح من خلال النقاط التالية :

أولاً: تغيير التصور لدى بعضنا عن النجاح!

ويتم ذلك من خلال النظر إلى النجاح كما يلي :

١- النجاح لا يعتمد على حجم الإنجاز فقط؛بل هناك أمور صغيرة من وجهة نظر البعض يعتبر القيام بها نجاحاً كبيراً .

٢- النجاح لا يشترط فيه أن يكون بتحقيق أمر نادر، بل هناك كثير من الأمور المتكررة في حياتنا اليومية يعتبر القيام بها نجاحاً وامتيازاً.

٣- النجاح لا يقتصر على تحقيق ما لم يحققه غيرك،بل هناك أمور يقوم بها ملايين من الناس،يُعَدُّ القيام بها نجاحاً وفوزاً .

٤- النجاح لا يتوقف على الإشادة من الآخرين، فهناك كثير من النجاحات التي تحققها - أخي الكريم - وقلّ أن يُشيد بها أويُثني عليك أحدٌ.

٥- من كان لديه حد أدنى من النجاح في جميع جوانب حياته وامتيازاً في جانب واحد يعتبر إنساناً ممتازاً جداً .

ثانياً: إعادة النظر في النجاحات اليومية المنسية!

لو تأملنا حياة أي مسلم لوجدنا أن لديه نجاحات يومية كثيرة وفي مجالات مختلفة من حياته :

ففي المجال التعبدي: نجد المسلم يومياً يؤدي الصلوات الخمس في وقتها ومع جماعة المسلمين إن كان رجلاً، وفي البيت إن كانت امرأة .

وهذا حد أدنى للمسلم للنجاح في صلاته، ومن أراد الاستزادة فبالمحافظة على السنن الرواتب وصلاة الليل والضحى .

وحقيقة،إن من لم يعتبر المحافظة على الصلاة، كما ذكرنا، من أكبر النجاحات فلا حق له في الحديث عن النجاح، بل لم يعرف ما هي الحياة أصلاً!

وفي المجال العلمي: فمعرفة المسلم مسألة واحدة من دينه، أو قراءة صفحة من كتاب ربه، أو حديث من حديث نبيه صلى الله عليه وسلم، يعتبر نجاحاً.

وكذلك قراءته صفحة واحدة من كتاب في علم نافع هي من النجاحات التي تستحق ذكرها وعدم إهمالها .

وفي المجال الأسري: فقبلة تطبعها على رأس أحد والديك نجاح وأي نجاح .

وابتسامتك في وجه زوجتك نجاح.

وحمل ولدك الصغير إلى المستشفى نجاح.

ومراجعة الأم دروس أولادها نجاح.

وتهيئة الزوجة طعام زوجها نجاح.

واتصال بعمة أو خالة نجاح.

وإعطاؤك ولدك مصروفاً يومياً نجاح.

«حتى اللقمة يضعها أحدكم في في زوجته» نجاح، وأي نجاح .

وفي المجال الاجتماعي: زيارتك جارك في بيته نجاح.

وعيادتك ابن زميلك في المستشفى نجاح.

وإجابة دعوة صديقك نجاح.

وكفالة اليتيم نجاح.

ومساعدة الأرملة نجاح.

وإعطاء الطريق حقه نجاح.

وفي المجال الوظيفي: اهتمامك بوقت عملك نجاح، وحرصك على زيادة إنتاجيتك في العمل نجاح، ولين الخطاب مع المراجع نجاح.

هل رأيت أخي كم تحقق من النجاحات اليومية المنسية؟

أنا لا أدعو إلى الكسل ولا إلى ضعف الهمة، لكن أدعوك إلى حمد الله على ما منَّ به عليك، وعدم ترك المجال لوساوس الشيطان بالتقليل من شأن نفسك ووصفك بالفشل وعدم الإنجاز ،ولا أريد الاستطراد أكثر، وأكتفي بالجوانب الأربعة المذكورة، علماً بأن هناك مجالات أخرى لم أذكرها، خشية الإطالة .

ثالثاً: الاحتفال بنجاحاتنا الصغيرة،وأقل درجات هذا الاحتفال هو حمد الله عليها ثم الرضا الذاتي عن أنفسنا .من النقطة السابقة اتضح لك أخي الكريم كم لدينا من النجاحات؟

قلق واكتئاب لدى كثيرين، مع أن لديه كل النجاحات التي ذكرناها، وإرهاق للنفس إن لم يكن إزهاقاً للروح بالنظرة السلبية عن أنفسنا وأولادنا وطلابنا .

قال الحبيب ﷺ: **«ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه».**

وأول من ترفق به هو نفسك وأهلك وولدك،ومن أعظم أوجه الرفق بالنفس شكرها على إحسانها وحثها على زيادة الإحسان بالحسنى .

أسأل الله أن يكتبنا من الناجحين، وأن يصرف عنا الفاشلين ويصرفنا عن سبيلهم.

القاعدة الثانية عشرة

غيّر رقماً واحداً تتغير النتائج

يتكون رقم الجوال من عشرة أرقام، عندما تغير رقماً واحداً فقط منها يجيبك شخص آخر، قد يكون مختلفاً تماماً عمن قبله.

وكذلك رقم جواز السفر، ورقم الهوية؛عندما تغير رقماً واحداً يتغير الشخص المعني، بغض النظر عن موقع هذا الرقم، من الأول، أو من الوسط، أو من الأخير.
فكذلك الحياة قد يحقق كل منا نجاحات عظيمة ومختلفة تماماً،ولو استخدم المكونات نفسها،عندما يُغير الطريقة أو يستخدم ترتيباً آخر، ولا تقل ليس هناك مجال يمكن أن أنجح فيه،صدقوني لكل صاحب همة عالية نجاح ينتظره، بإذن الله، فاعملوا فكل ميسر لما خلق له.

غيِّر رقماً واحداً في نظرتك إلى الحياة، ستتغير أمور كثيرة في حياتك.
وكلما كنت أعمق تفكيراً وأرقى نظرة، وتنظر إلى الأمور من الأعلى، فسيكون لديك كثير من الخيارات لتحقيق النجاحات.
فمثلاً لو أردنا أن نحصل على رقم صغير نتيجة جمع أرقام مختلفة،فستكون النتائج محدودة.

فلو أردنا أن نحصل على العدد (٤) من حاصل جمع، فستكون الخيارات كالتالي فقط:

٤+٠ = ٤

١+٣ = ٤

٢+ ٢=٤

هذه النتائج المتاحة فقط، أما عندما يكون العدد كبيراً، فستكون النتائج المتاحة أكثر.

لذلك غيِّر رقماً واحداً، واستخدم أرقاماً أكثر، وطرقاً مختلفة، وستحقق النجاح بإذن الله.

القاعدة الثالثة عشرة

ستقودك الأقدار إلى ما قدر لك

سبحان مَن وقّت الأقدار توقيتاً لا يتأخر عنه العبد ولا يتقدم! قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرࣰّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةࣰ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يونس: ٤٩.

أقدار مقدرة بحكمة عظيمة تسوق العبد إليها آمال أو آلام، مشاغل أو أرزاق، يذهب إلى مكان معين في ساعة معينة ليقابل قدراً معيناً.

لو تأخر عنه دقيقة أو تقدم دقيقة لما وقع ذلك القدر! لكن هيهات هيهات أن يتأخر أو يتقدم.

يترك أيام الأسبوع كلها ويذهب في يوم معين، ويترك ساعات اليوم كلها ليذهب في ساعة معينة!

ثم يحضر في مكان معين محدد تحديداً دقيقاً وبقعة صغيرة وكأنها مرسومة رسماً.

هل تدرون لماذا؟

لأنها الأقدار: ﴿ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرࣲ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ طه:٤

من أركان الإيمان الستة أن تؤمن بالقدر خيره وشره .

فعلى ماذا يحملك هذا التدبير الدقيق للأقدار خيرها وشرها؟

هل يحملك على الحزن والأسى؟

أم يحمل على الراحة والطمأنينة؟

لاشك أنه يحمل المؤمن على الراحة والطمأنينة وكل ماوقع له من الأقدار ما يؤلمه تلا قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ التوبة: ٥١.

يقرأ بقلبه قبل أن يقرأ بلسانه قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١.

قال علقمة بن قيس رحمه الله في هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى».

فلا مفر من أمر الله!

ليس هذا التدبير الحكيم خاصاً بالأقدار المؤلمة، بل حتى الأقدار المفرحة مفصلة تفصيلاً بديعاً، محددة تحديداً دقيقاً، وكأنك أمام قطعة نصية تملأ فيها فراغات معينة.

إنه الملك التام والتصرف المطلق للملك الحق المبين، يقابله الضعف التام والعجز المطلق لنا نحن العبيد!

تأملوا: هل منا ممتنع بقوته وقدرته من قدر الله وإرادته؟

تأملوا: هل منا من يستطيع أن يمنع فرح غيره وسعادته؟

نقولها بعد كل صلاة مكتوبة: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

فإذا كان الأمر كذلك فعلامَ الحزن؟ وممَ الخوف؟

تقع الأقدار المؤلمة على الإنسان، أو يراها في غيره، ليعيد النظر في سقف طموحاته وآماله وأمنياته وأحلامه، ليستذكر حديثين عظيمين جليلين:

أما الأول: فقوله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

والثاني: عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله، قال: «سل الله العافية». فمكثت أياماً، ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: «يا عباس، يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة».

وفي حديث آخر : «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من العافية».

ومهما يقع لك يا أخي من قدر يؤلمك فاعلم أن لك فيه أجر وخير: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَاء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَاء صبر؛ فكان خيراً له».

فاللهم يا مقدر الأقدار،ويا مسبب الأسباب، اكتب لنا وللمسلمين أقدار الخير والسعادة، واصرف عنا وعن المسلمين أقدار الشر والتعاسة .

القاعدة الرابعة عشرة

اختم بخير

روى ابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه ملك وشيطان، فيقول الملك اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر، فإن ذكر الله ثم نام باتت الملائكة تكلؤه...**» الحديث .

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأخرجه النسائي والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم .

وقد أوردت هذا الحديث الشريف كي نعلم أن الخاتمة ليست خاصة بخاتمة الإنسان في الحياة الدنيا وما يفعله قبل موته فقط.

صحيح أن هذه الخاتمة هي أهم خاتمة وأعظمها؛ لكنها مبنية على أن نختم بخير في كل أعمالنا؛ فمن اعتاد أن يختم بخير في المهمات اليومية والأعمال المستمرة جاءته الخاتمة الكبرى على خير بإذن الله.

ونحن نقول دائما في دعائنا: «**اللهم أحسن خاتمتنا في الأمور كلها**».

وكما أن العبرة في الأعمار بآخرها فكذلك العبرة في الأعمال بخواتمها .

وبعض الناس يُحسن في البدايات ويسيء في النهايات، وهذا حرمان وخذلان، نسأل الله السلامة والعافية.

فاجعل أخي الكريم وأختي الفاضلة: «اختم بخير» قاعدة لك تسير عليها في كل أمورك، وشعاراً ترفعه لنفسك في كل موطن. ومن الأمثلة على تطبيقات «اختم بخير» في حياتنا اليومية ما يلي :

أولاً: ما ورد في الحديث السابق، وذلك بأن تختتم يومك وليلتك بخير، وذلك بأذكار النوم إذا أويت إلى فراشك.

ثانياً: مسألة «اختم بخير» خطرة ومهمة جداً،وخصوصاً مع الوالدين؛ فقد يغضب أحد الوالدين من ولده، ويخرجون من المجلس ثم يسبق ملك الموت إلى أحد منهم؛ولن يعلم عظيم حسرة الولد عند ذلك إلا الله وحده .

لذلك لا تفارق مجلساً فيه والدك ووالدتك وبهما غضب أو زعل عليك أبداً حتى ترضيهما .

ثالثاً: اختم بخير في كل مجلس تجلسه، وذلك بألاَّ تقوم منه حتى تذكر كفارة المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

حقيقة، التطبيقات كثيرة جداً لا حصر لها؛لكن استصحب هذه القاعدة وهذا الشعار معك في كل أمورك ومع كل من لك تعامل وعلاقة به من الناس، فبعض الأزواج يختم بشر؛ بالإساءة إلى شريك حياته، وبعض الموظفين يختم بشر قبل تقاعده في تعامله مع زملاء عمله.

عندما تهتم بهذه القاعدة ستلاحظ تطوراً ورُقيّاً في تعاملك مع الآخرين يشعر به كل من يتعامل معك، فطبقها حتى عند خروجك من بيتك؛ بأن تخرج مبتسماً منشرح الصدر طيب النفس على أهلك وولدك.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، اللهم لك الحمد كالذي نقول، وخيراً مما نقول، ولك الحمد كالذي تقول.
اللهم لك الحمد كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله.
اللهم اجعله لسان صدق لنا، واجعل لنا لسان صدق دائماً.
أخي القارئ الكريم، يسعدني استقبال رأيك في الكتاب إيجاباً أو سلباً، ثناءً أو نقداً،
على بريدي الإلكتروني : (alzarige@hotmail.com) .
ومن طريق رسائل واتساب على جوال (٠٥٠٥٥٢٨٧٠٤).

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس